

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
X•٥٧•٤X •K||٤ □:K:|٨ :||K•X - X:٥٤O:٤ -



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محمد أولحاج
- البويرة -

Faculté des Lettres et des Langues

كلية الأدب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي
التَّخْصُّص: لسانيات تطبيقية

أثر الآليات اللُّغوية في بناء التَّناسب الموضوعي بين سورتي "الفرقان والملك"

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات الحصول على شهادة الماستر

إشراف الأستاذ:
د. عبد الحفيظ شريف

إعداد الطالبة:
آية بورقعة

لجنة المناقشة:

رئيسا
مشرفا ومقررا
عضوا مناقشا

جامعة البويرة
جامعة البويرة
جامعة البويرة

1. أ/ د. عمرو رابحي
2. أ/ د. عبد الحفيظ شريف
3. أ/ د. بوعلام طهراوي

السنة الجامعية:
2025-2026م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -

X•ⓧ•ⓧX •Kⓓⓔ Ⓢ:Ⓢ:ⓓⓈ Ⓢ:Ⓢ:ⓈX - X:ⓓⓔⓐⓈⓈ -



جامعة البويرة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محمد أولحاج
- البويرة -

Faculté des Lettres et des Langues

كلية الأدب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي
التَّخْصُّص: لسانيات تطبيقية

أثر الآليات اللُّغوية في بناء التَّناسب الموضوعي بين سورتي "الفرقان والملك"

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات الحصول على شهادة الماستر

إشراف الأستاذ:
د. عبد الحفيظ شريف

إعداد الطالبة:
آية بورقعة

لجنة المناقشة:

- | | | |
|--------------|---------------|--------------------------|
| رئيسا | جامعة البويرة | 1. أ/ د. عمرو رابحي |
| مشرفا ومقررا | جامعة البويرة | 2. أ/ د. عبد الحفيظ شريف |
| عضوا مناقشا | جامعة البويرة | 3. أ/ د. بوعلام طهراوي |

السَّنة الجامعية:

2025-2026م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى روحٍ كانت حاضرةً بين سطور هذا العمل ومنحتني دعماً بكل صمت..
إلى من غطّى الثُّرابُ جسدَيْهما وكان آخر دعاءٍ لي منهما "ربي ينجحك"
فأقول لهما من مكاني هذا أنّ دعاءكما وصل وتحقق، وها أنا اليوم أعيشه بكل فخر؛

جدّي وجدّتي رحمكما الله ورزقكما الجنّة؛

إلى القلب الذي ما بخل يوماً بالعطاء،

إلى أبي الغالي؛ حفظك الله وأدام ظلك؛

إلى التي لم يضع الله الجنّة تحت قدمها عبثاً؛

أمّي الغالية؛ حفظك الله وأدامك لي نعمة لا تفنى؛

إلى جنّتي الثّانية أمّي وخالتي، وكنّت الإثنيْن لروحكِ التي كانت دائماً مصدر الدّعم والعزيمة؛

خالتي العزيزة دمت لي سنداً لا ينقطع؛

إلى رفيق الطُّفولة وعُضد العمر؛

أخي الوحيد وليد؛ جعل الله النّجاح والتّوفيق رفيق دربك؛

إلى النّور الذي يملأ أيّامي فرحاً والابتسامة التي تمنح الحياة أملاً؛

أختي أنفال؛ أسعد الله قلبك ووفقك.

أضع بين أيديكم ثمرة هذا الجهد، وحصاد هذا التعب وإليكم أهدي نبضَ الحروف

وخلاصة رحلة خطّها السّهر بالصّبر.

لِيت

شكرو عرفان

إلى أساتذة طور الثانية ماستر؛

إلى الذين كانوا إذا أظلمت الفكرة أوقدوا لها من علمهم قنديلاً؛

وإذا تعثّر الحرف أخذوه بأيدهم حتّى يستقيم معنىً ونوراً، قد كنتم الأيادي التي دفعت هذا الحلم كي

لا يتعثّر، والأصوات التي كانت تمنح للحرف ثقله، ولل فكرة جناحيها؛

فلكم منيّ خالص الشكر والعرفان، وأسمى آيات الامتنان.

وشكراً خاص وامتنان يضيق الحرف عن الإفصاح به للأستاذ المشرف:

عبد الحفيظ شريف

الذي كان يقرأ ارتباك الفكرة قبل اكتمالها، وكان يُرّمّم تشتّتها بصبره، ويطيّمها بعطائه؛ ويمنح البحث

من وقته وجهده وقلبه، فلك من الامتنان ما لو كُتِب مداً لنفدت الأقلام قبل أن تبلغ بعض حقك

فلا شيء يفيك ذلك إلا سؤال الله لك أن ينيّ لك بكل حرفٍ أدركناه منك ومن كلّ فكرة

استقامت بصبرك وكلّ جهد أخذ من وقتك قصراً في الجنة.

مقدمة

مقدمة: يُعدُّ القرآن الكريم أسمى مدوَّنة احتضنت أسرارها وخَلَّدت بيانها اللُّغة العربية، فكانت له وعاءٌ وكان لها وجاءٌ، منحها المكانة وزادها شأنًا ومهابة، وما من علمٍ من علوم القرآن إلَّا والعربية فيه الوسيلة والأداة، فهي سبيله إلى استجلاء المقاصد، واستتطاق الدلالات وبيان المعاني، وطريقه للعوص في الخفايا والكشف عن الخبايا، وكلُّما تعمَّق القارئ في رحابهما ازداد يقينًا ببعد الغاية، وتحقَّق العجز أمام أقصر آية، ولا يزال الذِّكر الحكيم محورًا للبحث العربي بدلالاته وبناءه التركيبيَّة واللفظيَّة والصوتيَّة بدقَّتْها ونظمها وجمالها وأسرارها، ولا تزال الدِّراسات تتبَّئ في كلِّ مرَّة عن كشف جديدة.

وتعدُّ ظاهرة التَّناسب في القرآن الكريم أحدَ أجَلِ نماذج الدُّروس القرآنيَّة التي اتَّكَأت على اللُّغة للكشف عن الإعجاز القرآني في انتظام المعاني وتلاحم البنى اللُّغويَّة وتوافقها داخل النِّظم، كما أنَّ هذا النِّمط من الدُّرس له من الجذور العربيَّة القديمة ما يثبت رسوخ القدم، فقد نظر علماؤنا قديما في ظواهر قرآنيَّة بدلالات شرعية وحمولات بلاغيَّة، فتتبَّعوا أشكال الارتباط بين الآيات والسُّور، وكشفوا عن مظاهر الاتِّساق بينها، وتحقَّقت لهم نتائج خدم بها القرآن الكريم خدمة جليلة.

ومع تقدُّم الدراسات اللُّغوية العربيَّة الحديثة في تقاطعها الحذر مع معطيات الدُّرس اللِّساني الحديث؛ غدت الآليات اللُّغويَّة الحديثة أداةً ضروريَّة للتَّوَعُّل في خبايا الذِّكر الحكيم والوقوف على أسرارهِ، وخاصةً من خلال الآليات والأدوات المنهجية وطرائقها الإجرائية، حيث رصدت ترابطا لغويًا موضوعيًا بين الآيات والسُّور تجاوز ما أشارت إليه الجهود التفسيرية والبلاغية القديمة، واستغلَّت ظاهرة التَّناسب هذه الآليات الحديثة المشتغلة على توظيف الرُّوابط السَّطحيَّة لاكتشاف طبيعة المضامين، وفي مزج مدروس بين اللُّغة وآلياتها، وبين علوم القرآن ومقاصده، اكتسب الدُّرس اللِّساني وآلياته دورا جديدا لافتا في تبيان الانسجام النَّصِّيِّ والتَّماسُك الدَّلالي في النِّظم القرآني.

وضمن هذا السياق، أردت متابعة دراسة جزئية من قضايا التَّناسب القرآني حيث جاءت معنونة: **أثر الآليات اللُّغوية في بناء التَّناسب الموضوعي بين سورتي "الفرقان والملك" وهي دراسة مزجت بين**

ثمرات جملة من العلوم القرآنية واللغوية، والتي استند البحث عليها في إطار منهجيّ يُستجَدُّ من خلاله في كلّ مرحلة من مراحل البحث بآليات العلم المناسبة لها.

ولمّا كانت ظاهرة التَّنَاسُب بأنواعه في القرآن الكريم حرية بالدراسة؛ فقد استند متابعتها على علوم قرآنية شمل علم التفسير بأنواعه، وعلم المكي والمدني، وأسباب النزول وأمثالها ممّا يمثّل السِّياقات المختلفة للنزول، وعلوم لغويّة من صرف ونحو ومعجم دلالة، وليس هذا النمط من الدراسات بغريب في تراثنا العربي قديمه وحديثه، ولكنّ الجديد الذي نتوخّاه هنا هو إدراج لسانيات النصّ بآلياتها وأدواتها وإجراءاتها الحديثة، والتي يُكشف من خلالها عن التماسك النصّي، والانسجام الدلالي، والحضور اللغويّ والمعنويّ، في السورة أو السور، ليتّمّ الكشف عن السور المتشاكّلة في مواضيعها ومقاصدها ضمن انطلاقا من تشكيلها اللغويّ، وباعتماد تسلسل السور حسب النزول.

ولمّا كان التَّنَاسُب في القرآن الكريم ظاهرة تجتمع على ملاحظتها علوم كثيرة؛ كان لا بدّ من الجمع في الاستعانة بهذه العلوم لإبراز ذلك التوافق اللغويّ الذي كشف عن تناسب موضوعيّ حاضر في سور عديدة لقرآن الكريم، اخترنا منها مقارنة ما بين سورتي الفرقان والملك من ذلك التَّنَاسُب، وهما سورتان مكّيتان، بعيدتان عن بعضهما، سواء في ترتيب نزولهما أو في ترتيبهما في المصحف. [الفرقان 42 في النزول/25 في المصحف] [الملك 77 في النزول/67 في المصحف].

اعتمدت دراسة التَّنَاسُب الموضوعي بين السورتين: (الفرقان والملك) توظيف الآليات اللغوية وأدواتها، التي تتمثّل في مستويات التحليل اللغويّ للكشف عن طبيعة اللغة، ثمّ أدوات لسانيات النصّ كالانساق والانسجام، ورغم استقلال كلّ منهما ببنيتهما، وبعدهما عن بعض في النزول وترتيب المصحف؛ إلّا أنّه قد تبين اشتراك السورتين في مستويات لغويّة متعدّدة، عبّرت في توافق لافت عن اشتراك في المقاصد والقضايا الكبرى والمضامين الأساسية، وهو ما فتح المجال لدراسة مظاهر التوافق والترابط بين

السُّورَتَيْنِ وبدا الأمر غير اعتباطيٍّ؛ بل كان نتيجةً نظم دقيق محكم، حكمته بنية لغويّة منتظمة، تمكّنت من الإفصاح عن توافق السُّورَتَيْنِ في المضامين والمقاصد.

وقد استندت هذه الدِّراسة إلى جملة من مصادر ومراجع أساسية، رافقت البحث ورسمت طريقه ولعلَّ أهمَّ كتابٍ أُسْتُقِيَّتْ منه الفكرة هو: **جواهر الدُّرر في علم مقارنات السُّور، لأمحمد محمد صافي المُستغاني**، وهو الذي كوّن لبَّ البحث وشكّل مساره؛ إضافةً إلى مجموعة كتبٍ أخرى رافقت هذا البحث مثل: **التفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرَّازي، والموسوعة القرآنية، وخصائص السُّور لجعفر شرف الدين**، وهي كتبٌ تفسيرية اهتمَّت باستجلاء معاني الآيات وكشفت عن مكنون دلالاتها، لذا كان الاتِّكاء عليها في دراسة سورتي الفرقان والملك أمراً ضرورياً؛ كما اعتمدت الدِّراسة على كتب لسانية عن الآليات اللُّغوية والإجراءات التحليلية التي تعدُّ أساس البحث في جانبه النَّظريِّ والتَّطبيقي فنجد: كتاب **علم اللُّغة النَّصيِّ بين النَّظريِّ والتَّطبيقي لصبحي إبراهيم الفقي**، وكتاب **لسانيات النَّصِّ مدخلٌ إلى انسجام الخطاب، لمحمد خطاب**، فقد عُدَّت بمثابة عدسة منهجية مكّنت البحث من الغوص في أعماق النَّصِّ القرآني.

وفي هذا الإطار يسعى البحث إلى الكشف عن الآليات اللُّغوية والرَّوابط الخفية التي بنَّت التَّناسب الموضوعي بين سورتي الفرقان والملك، وكان لها أثر بارز في توافقهما ضمن وَحدة دلالية متكاملة ومتماسكة.

أهمية البحث: تكمن أهمية هذه الدِّراسة في تجاوزها (التفسير التَّجزيي) الذي يتناول الآية في السُّورة، ونظرها إلى السُّور القرآنية على أنَّها موضوعات كبرى تتَّسق الآليات المتنوّعة للكشف عن بدائع الرِّصف اللُّغويِّ فيها، فتجعل من سورٍ تباعدت في ترتيبها ونزولها متَّصلةً في مضامينها ومقاصدها وهو ما يخدم الدُّرس البلاغي واللسانيات النَّصّية الحديثة.

أسباب اختيار الموضوع: إذا كانت الموضوعات العلمية تُختار تبعاً لما تتيحه من آفاقٍ للبحث والدراسة؛ فإنَّ هذا الموضوع قد استوقفني بما ينطوي عليه من أبعادٍ قرآنيةٍ تراثيةٍ ولسانيةٍ حديثةٍ، جعلت الرغبة تتجه إلى دراسته واستجلاء ما يحمله من مظاهر التناصب والانسجام النصي:

• الرغبة في دراسة النصّ القرآنيّ وفق مقاربات لسانية ومنهجية حديثة، تجمع بين أصالة التراث التفسيري وفاعلية آليات لسانيات النص، ممّا أعطى هذا المزج أبعاداً جديدة في الكشف عن بناء التناصب الموضوعي بين السور، ويبرز الإعجاز القرآنيّ.

• الرّد على من ادّعى أنّ لغة القرآن لغة قديمة لا تصلح لأن تتعامل مع آليات الدراسات الحديثة فلغة القرآن أشمل وأرقى، وهي معجزة في نظمها وتراكيبها وأساليبها، وشاملة لكل الآليات والأدوات اللغوية.

• تثمين البحث في الدراسات اللسانية النصية بوصفها علماً غربياً حديثاً باشتغالها على أبلغ نصٍ وأقدس كلام، وهو الذكر الحكيم، فيستفيد الباحث من مزج علم قرآنيّ ذي طابع لغويّ تفسيريّ مع درس لسانيّ حديث، تطبيقاً على نموذج: (الفرقان والملك) لاشتراكهما في المقاصد والمستويات اللغوية المتعددة.

إشكالية البحث: تدور إشكالية البحث حول طبيعة العلاقة بين سورتيّ: الفرقان والملك، من وجهة لسانية نصيّة وبلاغية؛ فمع انفصال السورتين في ترتيب المصحف، والتباعد الزمنيّ في النزول؛ إلا أنّ حضور الوشائج اللغوية والمضمونية الوثيقة، والتطابق في البنى الإيقاعية والموضوعية التي تتأسس على النّقابل اللفظي والدلالي، فما الآليات اللغوية المهيمنة التي أسهمت في حيك النسيج النصي بين السورتين؟

وقد أحالت هذه الإشكالية على أسئلة جزئية أخرى:

- كيف أسهمت هذه الآليات في إثبات تناسب موضوعيّ والتحامٍ معنويّ بين الفرقان والملك؟

- ما مدى قدرة الروابط اللغوية في السورتين على بناء وحدة (الرّسالة الكلية) وتبليغها للمخاطب؟

- ما شكل الامتداد الذي أمنتته سورة (الملك) للتأسيس الذي أقامته سورة (الفرقان)؟

الفرضية: ينطلق هذا البحث من فرضيةٍ بديلةٍ مفادها: أن التناُوب الموضوعي بين سورتي (الفرقان والملك) قائمٌ على جملة من الآليات اللغوية التي أسهمت في تحقيق التماسك النصي والانسجام الدلالي على مستويات لغوية متعددة (صوتية، صرفية، تركيبية، آليات الاتساق والانسجام- مما يُكسب التكامل الدلالي بين السورتين، ومن ثم فإن الوقوف عند الآليات النصية كفيل بالكشف عن أثرها ودورها في إبراز الروابط الخفية التي تبني التناُوب الموضوعي بين سورتي الفرقان والملك.

المنهج المتبع: يعدُّ المنهج الوصفي بأسلوب التحليل، والاستعانة بإجراءات منهج تقابلي، وهي اختيارات منهجية أعتقد أنها مناسبة لهذا البحث، ولها القدرة على ضبط مساره، ورصد عتباته، وتتبع سيره بحيث:

- وُصفت الظواهر اللغوية الواردة في سورتي الفرقان والملك حسب مستوياتها، ثم حُللت وظائفها وعرفت أدوارها في تحقيق الاتساق والانسجام النصي وبناء تناسبه الموضوعي؛ إضافة إلى تحليل المقاصد الكبرى والمواضيع الأساسية للسورتين إبرازاً لدقة التناُوب والتكامل الذي بلغته السورتان.
- ويقوم المنهج التقابلي على مقابلة الآليات اللغوية في سورة الفرقان مع ما في سورة الملك لرصد مدى التوافق والترابط في البنى اللغوية، وإسهامها في بناء التناُوب الموضوعي، فالبحث لم يَقم على وصف الظواهر اللغوية فحسب؛ بل عمل على مقابلتها في السورتين لرصد التوافق والتكامل القائم، ومدى إسهامها في بناء التناُوب الموضوعي.

خطة البحث: اقتضت طبيعة هذا البحث الموسوم بـ "أثر الآليات اللغوية في بناء التناُوب

الموضوعي بين سورتي الفرقان والملك" أن يُبنى وفق خطة تجمع بين الجانب النظري والتطبيقي، بما يتيح الكشف عن مختلف الآليات اللسانية التي أسهمت في تحقيق التناُوب بين السورتين. ومن هذا

المنطلق، تمّ تقسيم البحث إلى مدخل وفصلين رئيسيين يرتبطان فيما بينها ترابطاً منهجياً يخدم إشكالية الدراسة:

خُصّص المدخل للحديث عن علم التناسب في القرآن الكريم، من خلال الوقوف عند مفهومه ونشأته وأهميته في الدراسات القرآنية، وذلك قصد التمييز بين التناسب الذي عالجته الدراسات الشرعية والبلاغية القديمة، والتناسب الذي يقوم على المقاربة اللغوية الحديثة المعتمدة في هذه الدراسة. ومن ثمّ، تمّ بيان صلته بالدراسات اللسانية المعاصرة، ولا سيما لسانيات النصّ، بوصفها مقارنة تهتم بالكشف عن مظاهر الترابط والاتساق والانسجام داخل النصوص، وتسعى إلى إبراز العلاقات التي تسهم في بناء وحدة المعنى وتماسك الخطاب القرآني.

وأما عنوان: الآليات الموضوعية ودورها في بناء التناسب اللغوي بين سورتي الفرقان والملك استعرض الفصل الأول الذي تناول الجزء الأول من عنوان البحث وهي الآليات اللغوية بوصفها آليات موضوعية تُبنى من خلالها العلاقات النصية داخل السورتين والتي بدورها تضم مستويات التحليل اللغوي المختلفة؛ بدءاً بالمستوى الصوتي وما يشتمل عليه من إيقاع وفواصل صوتية يؤدي الكشف عنها إلى إبراز وحدة التناغم الصوتي بين السورتين، ثم المستوى الصرفي بما يتضمنه من صيغ واشتقاقات وأبنية دلالية تسهم في بناء وحدة المقصد بين الفرقان والملك، وصولاً إلى المستوى التركيبي الذي يُبرز التوازي الأسلوبي والعلاقات التركيبية المساهمة في بناء التناسب الموضوعي بين السورتين.

في حين خُصّص الفصل الثاني المسوّم بـ "دور الآليات الموضوعية في بناء التناسب المضموني بين سورتي الفرقان والملك" لدراسة الآليات النصية أو الموضوعية التي يقوم عليها تماسك النصّ القرآني وانسجامه، حيث تمّ التطرّق إلى الاتساق النصي وأبرز أدواته كالأحوال التي تكشف عن وحدة المرجع في السورتين، والتكرار الذي يبرز التناغم والتوافق الشكلي بينهما، ثم الانتقال إلى الانسجام النصي بوصفه البعد الدلالي والتداولي الذي يُحقّق وحدة المعنى وتكامل المقاصد داخل الخطاب القرآني؛

إذ يُبرز دور الآليات الموضوعية في بناء الترابط الداخلي للسورتين من خلال تفاعل عناصر السياق النصي، كما يكشف عن التناسب الموضوعي بينهما عبر توافقهما في المقاصد الكبرى ووحدة التوجه الدلالي.

وقد خُتم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وأبرز الاستنتاجات المتعلقة بدور الآليات اللغوية والنصية في بناء التناسب الموضوعي بين سورتي الفرقان والملك.

الدراسات السابقة: تناولت دراسات عديدة قضية التناسب الموضوعي في القرآن الكريم، منها:

• **التناسب في سورة النساء ودلالاته الموضوعية** من إعداد الطالبة: دينا عازي رمضان رمضان

بحث لنيل درجة الماجستير، [إشراف: سليمان الداقر، جامعة: الجامعة الأردنية، نوقشت في 2013/12/23] تناولت فيه مفهوم التناسب وتعريفا لسورة النساء، وتطرقت لتناسب سورة النساء مع غيرها من السور.

• **علم المناسبات بين الآيات والسور من خلال جزء عم -دراسة تطبيقية-** من إعداد الطالبة

ليندة سعد جاب الله لنيل شهادة الماجستير، [إشراف: رمضان يخلف، جامعة: الأمير عبد القادر، دت] وتناولت فيه مفهوم علم المناسبات ونشأته والوحدة القرآنية إضافة إلى خصائص جزء عم والمناسبات الموجودة بين سوره.

• **التناسق الموضوعي في سورة لقمان:** من إعداد الطالبة مريّة بنت ناصر العلي لنيل شهادة

الماجستير [إشراف: عثمان المهدي صديق، جامعة: جامعة أم القرى، دت] حيث احتوت مذكرتها على تعريف شامل لسورة لقمان المناسبات المتعلقة بالسورة كمناسبة السورة لموضوعها وما قبلها وما بعدها ضمن إطار التفسير.

أما ما تميّزت به هذه الدراسة؛ فإنّها اهتمت بالجانب اللغوي الذي يصنع المضمون، ويظهر

التناسب، فالتناسب بوصفه ظاهرة قديمة عرض لها العلماء بعلوم لغوية وشرعية ومنها البلاغة التي

احتوت آليات تتقاطع مع آليات الدرس الحديث وهي لسانيات النص؛ وقد ربطت هذه الدراسة بين لسانيات النص الحديثة بعلوم تراثية قرآنية ذات وجهة لغوية وهو التناسب، وقد تضامن العلمان لخدمة القرآن الكريم، وبيان دقة إعجازه، وتلك وجهة لها رؤيتها في البحث اللغوي القرآني.

الصعوبات: مهما بلغ البحث العلمي دقة في تخطيطه ووضوحاً في منهجه إلا أنه لا يخلو من جملة صعوبات وتحديات تعترض مساره وتجتاح طريقه، وتفرض على الباحث مزيداً من التأني والدقة في المعالجة والتحليل:

- من الصعوبات التي واجهت هذه الدراسة قلة المصادر التي تناولت التناسب الموضوعي من وجهة لسانية نصية حديثة كدرس كامل، وإنما الموجود يشمل آليات لسانيات النص كدرس حديث منفرد لوحده والتناسب القرآني كدرس شرعي تفسيري لوحده حيث كان الكتاب الوحيد الذي أشار للتناسب بين سورة الفرقان والملك وأدرجهما ضمن أسر قرآنية هو **امحمد محمد صافي المستغامي** في كتابه **جواهر الدرر في علم مقارنة السور** بحيث تطرق للتناسب من وجهة بلاغية؛ وكذلك قلة الدراسات التي تناولت سورتي الفرقان والملك في إطار لساني نصي تقابلي، الأمر الذي فرض الاستناد على استنتاجات تحليلية مستمدة من النص القرآني نفسه والتفسيرات المرتبطة به.

- وقد أفرز تشعب موضوع التناسب وارتباطه بعدة علوم قرآنية شرعية ولغوية صعوبات نبعت من ضرورة الإحاطة بمفاهيم متعددة مرتبطة بالتفسير والبلاغة ولسانيات النص، والذي ظهر إثره صعوبة رسم الحدود الفاصلة بين مفهوم المناسبة بوصفه علماً قرآنياً بوجهته اللغوية، وبين التناسب بوصفها ظاهرة وجدت في القرآن بأشكال مختلفة منها اللغوي المحكوم بالبنى اللغوية، ومنها الموضوعي المرتبط بتوافق المضامين والمقاصد من جهة أخرى.

وفي ختام هذا الجهد المتواضع وبعد رحلة علمية حاولت فيها تتبع مظاهر التناسب بين سورتي الفرقان والملك في ضوء الآليات اللغوية ومعايير اللسانيات النصية، أحمّد الله تعالى حمداً يليق بعظمته

أَنْ يَسِرَّ السَّبِيلَ، وَأَعَانَ عَلَى إِتِمَامِ هَذَا الْبَحْثِ، وَمَا هَذَا الْعَمَلُ إِلَّا مُحَاوَلَةٌ لِلْكَشْفِ عَنْ جَانِبٍ يَسِيرُ مِنْ
إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَقِطْرَةٌ مِنْ فَيْضِ بَيَانِهِ وَعِظْمَةِ مَعَانِيهِ، وَحَسَبُ الْبَاحِثِ الْاجْتِهَادَ وَحَسَنَ الْقَصْدِ؛
فَإِنْ أَصَابَ فَبِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ، وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ نَقْصٍ أَوْ زَلٍّ فَمِنْ نَفْسِي.

وَلَا يَسْعَنِي فِي هَذَا الْمَقَامِ إِلَّا أَنْ أُنْقَدَّمَ بِأَسْمَى عِبَارَاتِ الشُّكْرِ وَالْامْتِنَانِ وَالْعُرْفَانِ إِلَى الْأُسْتَاذِ
الْمَشْرِفِ، الَّذِي كَانَ بَعْلَمُهُ وَتَوْجِيهُهُ خَيْرَ مَعِينٍ، وَبِمَتَابَعَتِهِ الدَّقِيقَةَ خَيْرَ سَنَدٍ، فَكَانَ لَتَوْجِيهَاتِهِ السَّدِيدَةِ
وَلِمَسَاتِهِ الْعِلْمِيَةِ أَثَرٌ بَالِغٌ فِي تَقْوِيمِ هَذَا الْبَحْثِ وَإِخْرَاجِهِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ. فَلَهُ مِنِّي خَالصُ الْامْتِنَانِ
وَصَادِقُ الدُّعَاءِ، جَزَاهُ اللَّهُ عَنِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ خَيْرَ الْجَزَاءِ.

مدخل

مصطلحات البحث ومفاهيم التأسيس

يُعَدُّ التَّنَاسُبُ في القرآن الكريم ظاهرةً تجاوزت الرِّبْطَ الظَّاهِرِيَّ بين المفردات والآيات والسُّور، ليغدو مجالاً معرفياً مركَّباً يجمع بين علوم القرآن كالتفسير والمناسبة والمكي والمدني والقراءات والناسخ والمنسوخ وغيرها، وعلوم اللغة النحوي والصرف والبلاغة والمعجم وغيرها. ولئن شكَّل علمُ المناسبة الإطار الأكثر استعداداً لاحتضان هذه الظاهرة؛ فقد عجز عن استيعاب جميع مظاهره وأشكاله، وسُرعان ما انفتحت مباحث هذا التَّنَاسُب على تطوُّر متنوِّع الاتِّجاهات ليعالج بنية الخطاب القرآني اللُّغوية ونماذجهِ الموضوعية. وهذا ما استدعى استحضار علوم التفسير وعلوم اللغة والسِّيَاق والخصائص البلاغية، إلى جانب تحليل المستويات اللُّغوية من أصوات وصيغٍ وتراكيب ودلالات.

وانطلاقاً من هذا؛ فإنَّ التَّنَاسُبَ مظهرٌ ختاميٌّ تشتركُ في إخراجهِ علومٌ قرآنية ولغوية، لتجد لسانيات النَّصِّ بآلياتها ومقولاتها سبيلاً تجاوزت فيه مع هذه العلوم لخدمة القرآن الكريم، حيث تتكامل فيه أدوات علوم القرآن مع آليات التَّحليل اللُّغوي، بما يكشف عن دقَّة النِّظم القرآني، ويُبرز وَحدةَ بِنائه وتماسكه.

1- التَّنَاسُبُ في الدَّرْسِ القرآني:

1-1- مفهوم التَّنَاسُب في اللغة والاصطلاح: شهد مصطلح التَّنَاسُب تنوعاً دلاليّاً في استعماله

اللُّغوي، إذ ارتبط أولاً بمعاني القرابة والتشابه، ثمَّ تطوَّر لِيُستعمل في التَّنَاسُب القرآني، قبل أن يكتسب دلالاتٍ أعمق تتَّصل بالانساق والانسجام والتَّرابط. ومن ثمَّ؛ فإنَّ تنبُّع أصولهِ في المعاجم وتحولاتهِ الدَّلالية يُعَدُّ مهمّاً لفهم انتقالهِ من المعنى العام إلى المفهوم الاصطلاحي في البلاغة واللَّسانيات.

فالتَّنَاسُب مصدرٌ للجذر اللُّغوي (ن س ب) الذي يعود استعمالهِ إلى ما "قبل 150 ق.هـ=476م"¹ حين حمل دلالة جِسِّيَّة ودلَّ على الامتداد الأسري والتَّسلسل العائلي، ومنه ارتبط بصلة الأجداد والآباء والأمَّهات صعوداً إلى شجرة النَّسب، مُشيراً في ذلك إلى العلاقات التي تربط الفرد بأسلافهِ؛ واستمدَّ بنيته الدَّلالية من ارتباطهِ بالامتداد الأسري وكشفت عن عمق معناه، وهو الاتِّصال والارتباط. فحين يُعَدُّ

¹ - www.dohadictionary.org/root

الإنسان نسبته إلى أبائه؛ فإنه يُظهر سلسلة من العلاقات التي تصله بهم وتربطه بنسبهم، ومن هنا يتبين أن البنية الدلالية للجذر (ن س ب) قائمة على فكرة وصل الامتداد الأسري.

ونقلت أول استعمالات مصطلح التناصب بهذا المعنى: عَدَدُ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ إِلَى حَيْثُ انْتَهَى.

نصوص ترجع إلى نحو ما قبل 150 ق.هـ = 476م، فينسب إلى مالك بن فهم الأزدي:

بِهَا عِمْرَانُ مِنْ أَوْلَادِ عَمْرٍو *** وَنِسْوَتُهَا ذُوو النَّسَبِ الْأَدَانِي¹

وفيه الدلالة على التفاضل بالأنساب، وهي دلالة حسية اجتماعية. ثم انتقلت هذه الدلالة الحسية -القربة- إلى دلالة مجردة، وهي التلاؤم وتوافق المعاني، وارتبطت بالاستعمال اللغوي والبلاغي وعلى ما وُجد من توافق وانسجام وتلاؤم بين شيئين أو أكثر، بحيث يكون كل عنصر يوافق عنصراً آخر غير متنافر معه في الشكل أو في المعنى، و"تناسب الشئان: تشاكلا، والقوم إلى أحسابهم: انتسبوا إليها"² فحمل اللفظ دلالة التشابه والتشاكل. يقول ابن فارس في المقاييس: "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء. ومنه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به. نقول: نسب أنسب"³ ويحيل تجاور حروف النون والسين والباء على أصل لغوي بدلالة الارتباط والاتصال أيًا كان الشيء المقصود حتى إذا ارتبط المعنى بالنسب الذي يظهر صلة الشخص بأصله وأهله وانتمائيه.

ويتضح من صياغة الفعل: نسب أنسب أن التركيب يرفع الإبهام ويقرب الإبانة كالقول: ينتسب

القط إلى فصيلة السنوريات. فوضحت علاقة القط بالسنوريات، ويبيّن ارتباطه بها.

¹ - <https://www.dohadictionary.org/root>

² - نخبة من لغويي مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط2، دار الفكر، بيروت، ج2، ص916.

³ - أبو أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1973م، ج5، ص424.

وربط ابن منظور دلالة (نسب) بالقرابة وهي دلالة حسية نستنبط منها دلالة لغوية مجردة، وهي الاتصال والترابط، يقول: "النسب: نسب القرباء، وهو واحد الأنساب. ابن سيده: النسبة والنسب والنسب: القرابة... رواه ابن الأعرابي: وناسبه: شركه في نسبه"¹ وهذا ما يثبت أصل دلالة اللفظ (نسب) وارتكازه على صلة القرابة والاتصال الأسري، وتشترك الصيغ أغلبها بالدلالة الحسية -القرابة والصلة- وتحيل على دلالة مجردة وهي الارتباط والاتصال والتوافق، كقولك تناسبت الأفكار، أي: تشاقلت وتوافقت وناسبته في الأمر بمعنى: شاركته فيه وارتبطت به معه؛ وفي البلاغة كقولك تناسبت الألفاظ ومعانيها أي: تلاءمت وتوافقت؛ فالدلالة المعنوية غير بعيدة عن الدلالة الحسية الجوهرية للجذر (نسب).

وما نستخلصه في نهاية التعريف اللغوي هو أن السياق يتحكم في تشكّل دلالة اللفظ، وهذا ما أنضح خلال تتبع دلالات التناسب اللغوية، انطلاقاً من معناها على تعدد الآباء والأمهات والأسلاف إلى القرابة والصلة إلى البيان والوضوح وعدم التناثر، وفي البلاغة والنسبة في الرياضيات، ومع ذلك تبقى النواة اللغوية مرافقة للمصطلح في جوهره، رغم تعدد صيغه وسياقاته وهي: الاتصال والترابط والتوافق.

وأما في الاصطلاح فليس علم المناسبات بالعلم الجديد، فقد ظهرت بدايات مباحثه في القرن الرابع الهجري نتيجة ازدياد اهتمام العلماء بالقرآن بشكل كبير، وبدأت الدراسات تحيط به من كل جانب، سواء ما تعلّق منها بتفسيره أو بلاغته أو لغته أو غير ذلك، سعياً لاستجلاء كنوزه وأسراره، وتلمّس إعجازه، وقد أحوّلت شدة تعمّق العلماء في ذلك إلى ملاحظة ظاهرة لغوية تقوم على متابعة علاقات تجمع بين أجزاء القرآن وآياته، وحتى بين سورته، سواء كانت متباعدة أو متقاربة.

وقد تفتّن لهذه الظاهرة الشيخ أبو بكر النيسابوري (318هـ) الذي كان يعيب على علماء بغداد عدم تفتّنها لعلم المناسبات. ثم أشار إلى هذه الظاهرة فخر الدين الرازي (ت606هـ) في قوله: "أكثر

¹ جمال الدين بن منظور الأنصاري، لسان العرب، ط3، دار الصادر، لبنان، 1955م، ج1، ص755.

لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط¹ قاصداً بذلك أن إعجاز القرآن لا يكمن فقط في لفظه ونظمه ومعانيه، وإنما للدور الذي يؤديه ترتيب آياته وسوره في بيان طبيعة روابطه وقوة إعجازه، وقد أولى الإمام الرّازي لذلك اهتماماً كبيراً في تفسيره (مفاتيح الغيب).

ولعلّ أبسط مثال يوضح ذلك ما أورده في تفسير أواخر سورة المائدة في قوله: "فمفتتح السورة من الشريعة ومختتمها بذكر كبرياء الله وجلاله وعزته وقدرته وعلاؤه، وذلك هو الوصول إلى مقام الحقيقة فما أحسن المناسبة"² مظهرها بذلك أهمية علم المناسبات في فهم أي القرآن.

ثم انطلق العلماء في التأليف في هذا العلم ومن أشهرهم: أبو جعفر بن الزبير الغرناطي (708هـ) الذي عنون كتابه (البرهان في تناسب سور القرآن) وألفت بعدها عدة كتب تناولته كعلم مستقل، وعندئذ ضبط تعريفه وارتبط مصطلح التناسب، أو المناسبة بعلم تفسير القرآن وبيان ترابط آياته وسوره.

1-2- تعريف علم المناسبة: عرفه ابن الأعرابي بالقول: "ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى

تكون الكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة البيان"³ فالتناسب بهذا المعنى يقوم على متابعة ارتباط أي القرآن بعضه ببعض حتى تكون الكلمة الواحدة في اتساق معانيها وانتظام بيانها. وهو بذلك يقوم في أصله على دلالة الارتباط والاتصال التي انتقلت من معناها اللغوي إلى مفهومها الاصطلاحي كعلم من علوم القرآن. ويكشف هذا العلم عن جانب مهم من إعجاز القرآن، يتمثل في التماسك المحكم بين الآيات والسور حيث تتكامل المعاني ضمن نظام دلالي وسياقي متناسق، فلا تفهم الألفاظ منفصلة؛ بل في إطار وحدة شاملة. ومن ثم؛ فإن إدراك هذا الترابط يعد مدخلاً أساسياً لفهم عمق البناء الدلالي والبلاغي للنص القرآني.

¹ - فخر الدين الرّازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط3، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1999م، ج1، ص110.

² - المصدر نفسه، ج12، ص469.

³ - أبو بكر بن العربي المالكي، سراج المريدين في سبيل الدين، ضبط: عبد الله التوراني، ط1، دار الحديث الكتابية لبنان، 2017م، ج4، ص144.

1-3- التَّنَاسُبُ فِي الْقُرْآنِ: التَّنَاسُبُ ظَاهِرَةٌ قُرْآنِيَّةٌ تَقُومُ عَلَى تَرَابُطِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ وَتَلَاوُمِهَا عَلَى
مستوى الألفاظ والمعاني والسيئات المختلفة، بما يحقق وحدة النص وتماسكه، ويبرز جانباً من إعجازه.
وهو يقوم على تفاعل الألفاظ مع السياق وما ينتج عن ذلك من دلالة دقيقة، تكشف عن علاقات الاتساق
والانسجام، وتبين علل الارتباط بين أجزاء النص وطبيعة العلاقة بين موضوعه.

1-3-1- أشكال التَّنَاسُب: يُعَدُّ التَّنَاسُبُ من أبرز مظاهر بناء النص القرآني، إذ يتجلى في
الاتساق والانسجام بين أجزائه بما يحقق وحدة دلالية ونظاماً لغوياً محكماً، ولا يقتصر على مستوى
واحد، بل يتنوع بين التَّنَاسُبِ اللَّفْظِيِّ والدَّلَالِيِّ والموضوعي، ويعدُّ الاطلاع عليه بياناً لأهميته في الدرس
القرآني وخدمته لهذا البحث الذي يركز على التَّنَاسُبِ اللُّغَوِيِّ.

1-3-2- التَّنَاسُبُ بَيْنَ الْآيَاتِ: وهو شكلٌ من أشكال التَّنَاسُبِ ويربط بين آيات الذكر الحكيم
سابقها بلحقها حتى تتشاكل فيما بينها، وتصبح متناسبة ومتشابهة بحيث تُفهم الأولى بانسجامها مع
الأخرى، وقد يكون هذا الارتباط والتَّنَاسُبُ ظاهراً كما قد يكون خفياً ما يوضح دقة النظم القرآني وانسجام
بيانه وبديع بلاغته. ومن أوجه الارتباط بين الآيات؛ أن تكون الآية مفسرة للآية السابقة لها، أو سببا
لها، وقد تكون بدلا عنها لغرض، أو مؤكدة لها لعلّة، وقد تأتي عارضة لغيرها بوسيلة من وسائل الارتباط.
والغرض منه ما تأتي فيه الآية متممة لمعنى قبلها، أو مهيّدة لما بعدها في نسق متجانس يعكس
عمق البناء القرآني، ويتضح ذلك من خلال المثال الذي صاغه السيوطي في كتابه (الإنقان) "حول ورود
لفظة "يسألونك" في سورة البقرة، ففي البداية وردت أربع مرّات دون الواو: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ [البقرة:
189]، ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 215]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: 217]، ﴿يَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: 219] فغياب حرف العطف الواو رافق اختلاف الحوادث وأزمنة الأسئلة،
وذلك مراعاة للسياق وترابط الموضوعات، وغياب الواو فيها يعني اختلاف المقام والمقصد، واستقلال كل
مسألة عن الأخرى. أمّا في الآيات التي وردت باللفظ نفسه وجاءت معطوفة بالواو، وهي: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ

مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: 219] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ [البقرة: 220] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222]، فقد اقترنت بالواو لتدلّ على وقوعها في وقت واحد، مشيرة إلى ارتباط السؤال بما قبله وتوافق سياقه، ولم يرد هذا الأسلوب عشوائياً؛ بل جاء ليبين دقّة النظم وحسن البيان القرآني الذي حقق الانسجام والتلاؤم والتشاكل بين الآيات. وتبرز دقّة الترابط حسب المعنى والمقصد والسياق¹. فاختلاف الأسلوب بين ذكر العطف وتركه لم يرد عشوائياً؛ بل جاء مراعيًا ولازماً للعلاقات المعنوية والدلالية بين الآيات، ممّا يظهر تناسقًا وتآلفًا دقيقًا في بناء السور وترابط الآيات وموضوعاتها وفقًا للسياق، وهذا من مظاهر التناصب بين آيات الذكر الحكيم، حيث تتناغم المعاني وتتنظم في سياق محكم يخدم المقصد العام للقرآن الكريم.

1-2-3-1- التناصب بين فاتحة السورة وخاتمتها: ويعدّ هذا النوع من التناصب من مظاهر الانسجام البديع في البناء القرآني، إذ يأتي مطلع السورة ممهّدًا للمواضيع التي تتجلى فيها، ثم تأتي خاتمتها مؤكّدة لتلك المواضيع والمعاني المطروحة أو شاملة لها أو مكّلة لدلالاتها أو معلّقة عليها، وبذلك تظهر السورة وحدة متكاملة ومتراصة، فيُظهر ارتباطُ بداية السورة بنهايتها انتظام المعاني وتآلفها؛ ويتّضح هذا النوع من التناصب في كثير من السور منها مثلاً: سورة الحشر التي بدأت بذكر تسبيح الله عزّ وجلّ وبيان قدرته وعزّته في قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 1] فيتبين من الآية أنّ بداية السورة تمهيدٌ في إبراز عظمة الله، وبيان قدرته، وتنزيهه عزّ وجلّ، ثم جاءت الخاتمة شاملة ومؤكّدة لبدايتها في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 24] ومن خلال هذا يظهر التناصب واضحاً بين بداية سورة الحشر ونهايتها، حيث ابتدأت بالتسبيح وانتهت به، كما ابتدأت بذكر

¹ - يُنظر: جلال الدّين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، د ط، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، مصر، 1974م، ج3، ص388.

صفة العزة والحكمة وإثباتها لله جلّ في علاه، وانتهت مؤكّدة ذلك "مما يدلّ على توافقٍ على بداية السّورة مع نهايتها"¹ وهذا ما يُثبت اتّساق المعنى وانسجام المبنى في السّورة، ويعكس وحدتها الموضوعية، ويبرز جمال النّظم القرآنيّ، ويوضّح دور التّناسب في بناء الدّلالة.

1-3-2-2-تناسب افتتاح السّورة مع مقصدها: يشتمل القرآن الكريم على مقصدٍ عامٍّ، ومقصد

خاصٍّ بكلّ سورة تُظهره آياتها الأولى، فتأتي بدايات السّور ممّهدة لمقصدها، ومشيّرة إلى موضوعاتها الأساسيّة وتعدّ هذه الإشارة من أبرز الصّور التي يظهر فيها التّناسب، فتكون الآيات الأولى بمثابة المدخل الذي يهيئ القارئ لفهم الاتّجاه الموضوعيّ للسّورة ومقصدها؛ ثمّ يكشف التّوغلّ في السّورة عن ترابطٍ بين المفتتح وبين مضمونها العامّ، ويُعدّ توجيه المعنى منذ البداية من أسرار النّظم القرآنيّ، فهو يخدم المقصد الكلّيّ للسّورة، ويؤسّس لبنائها الدّلالي المتكامل. ولعلّ أوضح مثال ما ذكره كمال الدّين الزّملكاني من أنّ سورة الإسراء استهلّت بالتّسبيح لأنّها بدأت بذكر حادثة الإسراء والمعراج، وهي معجزةٌ كدّب فيها المشركون الرّسول ﷺ وتكذيب الرّسول تكذيبٌ لله تعالى، فجاء افتتاحها بالتّسبيح تنزيهاً لله تعالى وتصديقاً لنبيّه ﷺ أمّا استهلال سورة الكهف بالتّحميد فكان تثبيطاً للكفّار الذين ادّعوا انقطاع الوحي عن رسول الله ﷺ لفترة، فطعنوا فيه بسبب ذلك، فأُنزل الله تعالى ما ردّ به عليهم، بأنّه تعالى لم يقطع نعمته عن نبيه ﷺ "بل أتمّ عليهم النّعمة بأنزّل الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النّعمة"² ولذلك ناسب استهلال سورة الكهف بالحمد والشّكر لله على عدم انقطاع الوحي ودوام النّعمة. "ومن هذا النّوع مناسبة أسماء السّورة لمقصدها"³ فيظهر لنا دقّة التّناسب التي تربط آيات القرآن بسياقها ومقصدها، ويتبيّن أنّ القرآن كلّ كلمة واحدة في انسجامه وتآلفه وهذا من أسباب الإعجاز.

¹ - محمّد هلال، تفسير القرآن الثّري الجامع (في الإعجاز البيانيّ واللّغويّ والعلمي)، ط1، دار المعراج، دمشق، سوريا 2022م، ج11، ص427.

² - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص387.

³ - المرجع نفسه.

1-3-2-3- التناصب بين السور المتتابعة: من أشكال التناصب في القرآن، تناصب افتتاح

السورة مع خاتمة ما قبلها ويظهر سرُّ الإعجاز القرآني في ترتيب السور وتتابعها أيضا "ففي ذلك علم جمٌ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقَّت له"¹ ويتجلى التناصب في ارتباط خاتمة السورة ببداية ما قبلها ممَّا يحدث ترابطاً دلاليّاً يُبرز وحدة النسق القرآني، وحكمة تعاقب السور واتساقها، ويكشف عن الروابط المعنوية وأسرار ترتيبها، كما يظهر ذلك في نماذج من القرآن منها -مثلاً- خاتمة سورة الطور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَرَئَ النُّجُومُ﴾ [الطور: 49] أي انصراف النجوم واختفاءها كونها متحركة وغير ثابتة، وتناصبت مع بداية سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: 1] أي سقوط النجم وغروبه "ويريد النجم ﴿إِذَا هَوَى﴾ إذا غرب وانتثر يوم القيامة"² وكلا الآيات تحمل معنى حركة النجوم في الأفق، وعدم ثباتها فهذا ما يظهر إحكام بناء السورة وترابطها، ويبرز وحدة الموضوع والنسق القرآني، ويكشف دقة النظم، حيث جاءت نهاية السورة مميّدة معنوياً ومتّصلة لفظياً لبداية السورة بعدها، ممَّا يحيل على ترابط يُعمّق الانسجام العام للنص القرآني.

ومجمل القول في هذا الاستعراض السريع لطبيعة التناصب في القرآن، وموقع علم المناسبات منه؛ أنّ التناصب ظاهرة لغوية نصّية تشغل على الترابط المحكم والانسجام الدقيق بين الألفاظ والمعاني والسياق، أيّا كان نوع هذا الارتباط وموضعه، ممَّا ينتج عنه بناء نصّي محكم؛ وما يُثبت دقة التناصب هو الذّكر الحكيم، فقد يقع بين آيات السورة الواحدة، أو بين آيات سورٍ مختلفة، وقد يقع بين بداية السورة وخاتمتها أو بين خاتمة ما قبلها فيشير إلى تناسب السور المتتابعة، وهذا ما يُظهر إعجاز القرآن الكريم ويبرز دقة نظمه وبيانه، وانتظام أجزائه وتضامّها، فيجعل من المعاني والدلالات كيانا مرتبطا ومتآلفا

¹- بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، لبنان، 1957م، ج1، ص37.

²- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: علي أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، مكتبة العبيكان، السعودية، 1998م، ص3140.

ومنتظما في نسقٍ واحدٍ، ويؤدي التأمل في أشكال التناسب إلى فهم إعجاز القرآن وبيان بلاغته وأسرار لغته ونظمه.

ولا يُقصدُ بإدراج مصطلح (التناسب) في عنوان هذا البحث باعتباره علما قرانيا قائما بذاته، كما لا يعني ذلك استبعاد بقية علوم القرآن؛ بل المقصود بالتناسب ذلك التناغم الذي يتبدى للمتدبر في بنية النص القرآني بمستويات متعددة. فهو تجسيدٌ ختاميٌّ تتضافر في بنائه جملةٌ من العلوم القرآنية واللغوية وفق منهج واضح، ويُعدّ علمُ المناسبة أحدَ هذه المكوّنات دون أنْ ينفرد بها.

ومن هذا المنطلق، يسعى البحثُ إلى إبراز إسهام جملة من العلوم القرآنية واللغوية واللسانية الحديثة كالتفسير والبلاغة ولسانيات النص خاصّة، في الكشف عن مظاهر التناسب بين السورتين موضوع الدراسة.

الفصل الأول

الآليات الموضوعية ودورها في بناء

التناسب اللغوي بين سورتي:

الفرقان والملك

يقاربُ البحثُ متابعةَ الظواهر الناجمة عن تعالق العناصر اللغوية المختلفة في مختلف مستوياتها والتي تتضافرُ تدريجياً لتشكّل علاقة القرابة بين سورتي: "الفرقان والملك" وأطلق عليه لفظ الموضوعي لطبيعة اشتغاله على مستوى المفردة والتركيب البسيط لا يتجاوزهما. وتمييزاً له عن الشكل الثاني من الآليات التي يتناولها الفصل الثاني، وهي الآليات الموضوعية والتي تتجاوز الجملة والتركيب إلى رصد العلاقات عبر النصوص، بما يحقق انسجام الموضوع واتساقه. ويؤدي توظيفها الآليات اللغوية في رصد طبيعة العلاقات بين العناصر اللغوية في السورتين إلى اكتشاف مدى التناصب بينهما وطبيعته.

1- الآليات اللغوية وبناء النص: تُعدّ الآليات اللغوية من المفاهيم الأساسية في الدرس اللساني عامةً ولسانيات النص خاصة، إذ تشير إلى مجموعة من الوسائل والأدوات التي يوظفها الدارس في تحليل بنى النصوص، ويتحقق من مدى تماسكها، وتتضمن هذه الآليات مختلف مستويات التحليل اللغوي من صوتية وصرفية ونحوية ودلالية، ممّا يشكّل النصّ ويحقق اتساقه وترابطه وانسجامه. فهي على الجملة تلك "العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى"¹ وباشتغالها على مستويات التحليل اللساني واستغلال إجراءاته، تحيل على آليتين أساسيتين يُعتقد أنهما أكثر مناسبة لدراسة موضوع بحثنا، وهي استغلال أدوات التماسك النحوي أو الاتساق، وأدوات التماسك الدلالي وهي الانسجام أو التلاحم.

2- مستويات التناصب اللغوي وأشكاله: يُعدّ التناصب اللغوي في النص الواحد، أو بين نصين فأكثر من أبرز مبررات البحث اللساني تحت مسمى لسانيات النص، ويعدّ استدعاء هذه الآلية وتطبيق إجراءاتها على السورة أو السور القرآنية أحد أبرز مظاهر الدرس اللساني الحديث، بما وفّره من إمكانية اكتشاف أشكال جديدة من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ويبدأ اشتغال هذه الآليات في اكتشاف التناصب اللغوي

¹ - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظري والتطبيقي، ط1، دار قباء، مصر، 2000م، ج1، ص96.

على المستويات اللغوية كلها في السورة أو السور القرآنية؛ منطلقا من الصوت بمقاطعته وفواصله، ثم الألفاظ بأوزانها وصيغها، فالتركيب بمختلف أنواعها وأساليبها، وانتهاءً بالدلالات في مستوياتها الظاهر والعميق. وباندماج هذه المستويات وتكاملها يقف الدارس على طبيعة البنية اللغوية، ويرصد مدى انسجامها ودرجة إسهامها في توجيه المعنى وتعميق أثره، ويُعدُّ الكشف عن عمق هذه المستويات لكلِّ من سورة الفرقان وسورة الملك إثباتا لوجود هذا التناصب لغويا، والكشف عن تكامل أبعاده دلاليا.

2-1- المستوى الصوتي: يُعدُّ العامل الصوتي أحد أبرز المستويات التي تشكِّل التناصب اللغوي بين

الآيات والسور، لما له من أثر بالغ في إضفاء الانسجام الإيقاعي على البنية التعبيرية، فالأصوات ليست مجرد عناصر نطقية مستقلة؛ بل تكتسب -إلى دورها الوظيفي- دورا جماليا من خلال ما تُحدثه من تناغم وتآلف إيقاعيٍّ يمتدُّ إلى توجيه المعنى وتوضيحه، حيث تتناسب الأصوات المختارة مع الدلالة المراد التعبير عنها، ومن ثمَّ فإنَّ دراسة العامل الصوتي لكلِّ من سورة الفرقان وسورة الملك يبرز التناصب اللغوي بينهما. وتُعدُّ جودة تآلف الأصوات في التعبير الأساس الأول في بناء الانسجام النصي، إذ يكتسب النصُّ من خلاله تناغما إيقاعيا يسهم بشكل كبير في تكوين الحسِّ الدلاليِّ العام، ويتجسَّد الانسجام الصوتي في القرآن الكريم بشكلٍ كبير واضح، ولا يحتاج الدارس للبحث في وجوده أو عدم وجوده -فذلك ممَّا تقرَّر الإعجاز فيه- بقدر ما يحتاج إلى البحث عن مظاهره، وطبيعة حضوره ووظائفه.

والبحث في تآلف أصوات السورة الواحدة وما يحيل عليه من تناسبٍ مع أصوات سورة أخرى؛ يُعدُّ أحدَ مباحث هذا العمل، وبإثبات هذا النوع من التآلف؛ نكون قد أثبتنا أول مظاهر هذا التناصب الموضوعيِّ بحكم أنَّ دراسة الصوت لها أثرها الكبير في معرفة طبيعة الدلالة والكشف عنها.

وبدراسة الانسجام الصوتي في كلِّ من سورتي الفرقان والملك؛ سنكشف عن نمط التناصب اللغويِّ بينهما ومداه، وهو ما يبرز التناصب المضمونيِّ لاحقا.

2-1-1- الإيقاع العام لسورتَي: الفرقان والملك: يُعدُّ الإيقاع العام للسورة أحد أبرز الخصائص

الأسلوبية في القرآن الكريم، لما له من دورٍ في تثبيت المعاني في نفس المتلقي، وإبراز الجوانب الجمالية وتعميق آثارها. وسنتطرق لمظاهر الإيقاع في سورتَي الفرقان والملك من خلال متابعة تناغم الفواصل وتناسق الأصوات، وما يمكن أن يتحقق من وفاق فني ودلالي بينهما، فنعرض لطبيعة تنوع الفواصل في السورتين وبيان ما أحدثه من تناسب بينهما.

• الفاصلة القرآنية في السورتين؛ الحضور والأثر: يُقصد بالفاصلة القرآنية "ذلك اللفظ الذي خُتمت

به الآية، فكما سمّوا ما خُتم به بيت الشعر قافية؛ أطلقوا على ما خُتمت به الآية الكريمة فاصلة¹ فهي آخر كلمة في الآية، وتقع من الآية موقع القافية من البيت الشعري، ولكنها أعمق من مجرد تناسق صوتي، كونها ترتبط بالمعنى والسياق.

ولمّا كان للفاصلة القرآنية هذا الشأن في إحداث التناصب في السورة أو السور؛ فقد أثرنا المتابعة العملية للظاهرة في السورتين، والعدول عن مألوف الدراسات في مثل هذا المستوى التي تقدّم بقسم نظري ثمّ بقسم تطبيقي يعود في مباحته كلّ مرّة إلى المقولات النظرية، فكان التطبيق من السور المختارة موضوعاً للبحث.

• الفاصلة المتماثلة في سورة الفرقان: وهي التي تشابهت الحرف الأخير فيها، أو تشابه الحرفان

الأخيران منها، وحضورها في سورة الفرقان من تماثل الحرف الأخير كثير، فأغلب الآيات تنتهي بحرف الراء المشبّع بالألف، وشواهدُها من السورة بدايةً بالآيات الأولى: ﴿لِّلْعٰلَمِيْنَ نَذِيْرًا﴾ ﴿فَقَدَرَهُ تَقْدِيْرًا﴾ ﴿وَلَا حَيٰوةَ وَلَا نُسُوْرًا﴾ ﴿ظَلَمْنَا وَزُوْرًا﴾؛ وتنوّعت هذه الفاصلة لتشمل حرف الراء مرّاتٍ واللّام مرّاتٍ أخرى، ومن شواهد فاصلة اللّام المشبعة بالمدّ؛ قوله جلّ جلاله: ﴿بُكَرَةٌ وَاصِيَلًا﴾ ﴿الرَّسُوْلُ سَبِيْلًا﴾ ﴿فَلَا نَا خْلِيْلًا﴾

¹ - فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ط2، جامعة القدس المفتوحة، الأردن، 1997م، ص214.

﴿لَا نَسْنِ حَذُولًا﴾؛ وقد يتخلل ذلك حضور الحرف الأخير ميمًا مشبعةً مدًا أحيانًا: ﴿نَحْيَةً وَسَلَامًا﴾
﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.

ومع تنوع الحرف الأخير من الفاصلة في السورة بين الراء واللام والميم، فهي حروف قريبة في المخرج متشابهة في الصفات، صامتة لثوية منفتحة، وقد أزال هذه الفروق البسيطة بينهما ذلك الإشباع بالمدِّ فحوّلها إلى حروف صائنة، فتوحّدت الفاصلة بما نتج عن اهتزاز الوترين دون أي عائق من أعضاء جهاز النطق فخرج الهواء مستمرًا طليقًا، وأحدث جرسًا متناغمًا في غالب سطح السورة، وبلوغها المسامع بدقة.
ومن أنماط الفاصلة المتماثلة في السورة ما كان على ثلاثة حروف، ويمثل لها بقوله تعالى: ﴿رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ ﴿جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا﴾؛ وتمثّلت نهاية الفاصلة فيها في المدِّ بالواو والراء مع الإشباع بالألف.

ومنها فاصلة متماثلة أخرى وردت بحرف المدِّ للياء والراء مجتمعين، والإشباع بالألف، ويظهر في قوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ ﴿كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ ﴿تَغِيظُا وَزَفِيرًا﴾. ومع تغاير حرف المدِّ في الفاصلة بين المدِّ بالواو إلى المدِّ بالياء؛ فإنّ ذلك لم يحدث خلاصوتيا كبيرًا، إذ هما من جنس واحد: "وعلى ذلك ليست الضمّة عدوة للكسرة، كما يتردّد في بعض كتب العربية؛ بل هما من فصيلة واحدة، وذلك على العكس من صوت الفتحة"¹ ويعدّ علماء الأصوات المحدثون الكسرة أخت الضمّة، وقد أعطى هذا التجانس بينهما في فاصلة الفرقان نغما إيقاعيا طويلا خاصًا، أسهم في إبراز قوّة الدلالة بين الترهيب للمجرمين والترغيب للمؤمنين، ويظهر جليا ذلك الاتّساق الإيقاعي الذي شكّله فواصل الفرقان.

وباستعراض الأمر ذاته في سورة الملك سنرى طبيعة الدور الذي سيؤدّيه هذا المستوى في تأدية المقصد من تناسب السورتين.

¹ - رمضان عبد التّوّاب، مدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، ط3، مكتبة الخانجي، مصر، 1997م، ص109.

• الفاصلة المتماثلة في سورة الملك: تتضح أولى مظاهر التناوب من خلال الحرف الأخير من

فواصل السورة التي حضرت فيها الراء، وذلك في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ ومنها ما حضرت فيه النون: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَالْيَاسِرُ الْخَشِيرُ﴾ ﴿كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؛ وشيئا غير كثير من الميم: ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ ليتضح توافق الفاصلة المتماثلة بحرف بين سورة الفرقان والملك التي ختمها حرف الراء والميم والنون، غير أنَّ الإشباع بالمدِّ قد انفردت به سورة الفرقان، وغاب عن الملك. كما بقيت صفة انفتاح حروف الفاصلة حاضرة في السورتين، وبهذا يظهر أوَّل ملمح تناوب صوتي بين السورتين.

أمَّا الفاصلة المتماثلة بحرفين، والتي شملت نغمتين وتكررت بين الياء والراء، فلها شواهد عديدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ ﴿عَذَابُ السَّعِيرِ﴾ ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ﴿ضَلَّالٌ كَبِيرٌ﴾؛ وبالواو والراء: ﴿الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ ﴿وَهُوَ تَفُورٌ﴾ ولم تختلف عن فاصلة الفرقان، إذ نجدها تنوعت بين المدِّ بالياء والمدِّ الواو، وهما حرفان غير مختلفين، كما سبق توضيحه، وقد أسهم ذلك في إثراء صبغة إيقاعية عامة للسورة، فالمدُّ يحمل دلالة الكبرياء والقوة، والسورتان تثبتان قوة الله تعالى وجبروته وملكه وعظمته، عبر تصوير مصائر الكافرين، فناسب ذلك جزس الفاصلة في السورتين.

• الفاصلة المتقاربة في سورتي الفرقان والملك: وتكون في الحروف التي تنتمي إلى حيز واحد أي:

الحروف المتقاربة في المخرج، كاللَّام والنُّون. ونمَّثل لها من خلال الآيات التالية: ﴿رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ وأيضا تقارب الراء واللام في قوله تعالى: ﴿وَعَدًّا مَّسْئُولًا﴾ واشتراك مخرجهما من طرف اللسان فعُدَّتَا فاصلة متقاربة. ومثل ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ و ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾. ومن سورة الملك نجد قوله تعالى: ﴿مِّنْ فُطُورٍ﴾ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ﴾ فالراء بالشكل الذي وردت فيه قريبة ممَّا يناظرها في الفرقان وقد كان للفاصلة المتقاربة -على قلة حضورها- في السورتين أثرٌ أظهر نوعا من التناوب.

• **الفاصلة المتوازية:** وهي فاصلة "تجمع بين الاتفاق في الحرف الأخير وبين الاتفاق في البنية المقطعية"¹ فيكون الحرف الأخير للآيات نفسه، وتكون الكلمة الأخيرة بالصيغة نفسها. وورد ذلك بكثرة في سورة الفرقان، ويمثل لها بقوله تعالى: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ﴿عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ فتنتهي الآيات باللام الممدودة بالألف، وجاءت الكلمات الأخيرة على وزن واحد. ووردت أيضا: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ﴿عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرٌ﴾ ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ ﴿تَغِيظًا وَزَفِيرًا﴾ ﴿جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ والاتفاق هنا على حرف الراء الممدودة، وصيغة الكلمات الأخيرة نفسها.

كما وردت فاصلة أخرى بتتوُّع آخر في الصيغة، وتظهر في آيات متفرقة، نذكر منها: ﴿لَكَ قُصُورًا﴾ ﴿الْهَارَ نُشُورًا﴾ ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ فبقي الحرف الأخير -الراء- ملازما للنهاية، مع تغيير صيغة الكلمات الأخيرة. وعلى صعيد سورة الملك يحضر ذلك بقوة، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ فشمِل الاتفاق تكرار الحرف الأخير -الراء- والصيغة الصرفية نفسها: (قدير، حسير، السعير، المصير، نذير) فكلها على وزن واحد يتناسب مع نغمة فاصلة سورة الفرقان التي عرضنا لها سابقا.

• **الفاصلة المتوازنة:** وهي حين تكون الكلمات الأخيرة في الآيات متفقة في البنية المقطعية دون اتفاقها في الحرف الأخير، وتتضح من خلال شواهد سورة الفرقان: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ﴿مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ إذ جاءت لفظة "عسيرا" في صيغتها متوازنة مع صيغة "سبيلا" لكن الحرف الأخير فيهما مختلف. وظهرت في الآيتين: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

احتوت سورة الفرقان على أقسام الفواصل القرآنية وتنوعت فيها، ممَّا أكسبها انسجاما صوتيا تنغم فيه الجرس الصوتي العام للسورة، أمَّا سورة الملك فخلت من الفاصلة المتوازنة، واكتفت بالأنواع الثلاثة

¹ - متاع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، ط3، مكتبة المعارف، السعودية، 2000م، ص146.

الأولى. ورغم هذا فقد بقي التناصب الصوتي بين فواصل سورة الفرقان وفواصل سورة الملك بارزا، أدى فيه التناصب الصوتي دور التأسيس في بناء التناصب اللفظي اللاحق. وسنختصر مبحث التناصب الصوتي بين السورتين في الجدول التالي:

مظهر التنوع	الفاصلة القرآنية في سورة الفرقان	الفاصلة القرآنية في سورة الملك	نوع الفاصلة
الحرف الأخير (الراء)	قديرا، حسيرا، غفورا	قدير، الغفور، حسير	متماثلة
الحرف الأخير (الميم)	سلاما، مقاما، لزاما	مستقيم، أليم	
التمائل بحرفي: الواو والراء	مسحورا، نشورا، زورا	الغفور، فطور	
التمائل بحرفي: الياء والراء	نذيرا، سعيرا، زفيرا	سعير، الحسير، المصير	
تقارب الامتداد الصوتي	رجلا مسحورا	من فطور	مقاربة
	وعدا مسؤلا	كان نكير	
اتفاق الحرف الأخير والبنية المقطعية للكلمة	سيلا، وكلا، دليلا	فطور، غرور، نفور	متوازنة
	قديرا، ظهيرا، نذيرا،	قدير، نذير، السعير،	
اتفاق البنية المقطعية دون الحرف الأخير	عسيرا، سبيلا		متوازنة
	ترتيلا، تفسيرا		

يعكس الجدول بوضوح مفارقة صوتية وظيفية بين السورتين تقوم على مبدأ: التتوع في سورة الفرقان مقابل الانتظام النسبي في سورة الملك. فالفواصل في الفرقان تنسم بتتوع الصيغ (ير، ور، ل) وتباين أطوالها مما يولد ديناميكية إيقاعية تتناسب مع طبيعة السورة في الحجاج والجدل، وتركيزها على عرض مواقف المكذّبين وتفنيدها، وهذا التنوع لا يحدث تفككا؛ بل يظل محكوما بشبكة صوتية تحقق قدرًا معتبرا من الانسجام الداخلي.

وفي المقابل، تميل سورة الملك إلى تقريب الفواصل وتوحيد حرفها الأخير، خاصة بحرف الراء وصيغ مثل: (فعل/فعول) وهو ما ينتج إيقاعًا منتظمًا بنبرة قوية مستقرة، تخدم مقصد السورة القائم على التّقرير

والإنذار واستحضار مشاهد القدرة الإلهية. كما أنَّ التقارب في البنية المقطعية للفواصل يعزز الإحساس بالترابط الصوتي ويكسب النصَّ جرْسًا متماسكًا.

وهكذا؛ فإنَّ التناصب بين السورتين لم يتحقَّق عبر تماثل تامٍّ؛ بل عبر تكاملٍ صوتيٍّ: يبيد تنويع الإيقاع في الفرقان، وانتظام يرسِّخ المعنى في الملك، وكلاهما يُسهم في بناء انسجامٍ نصِّيٍّ شاملٍ يخدم في الأخير المقصدَ التداولي للخطاب القرآني.

ومن هذا المنطلق يتبيَّن أنَّ سورتَي الفرقان والملك انتظمهما نظام صوتيٌّ قائمٌ على مبدأ تناظر الفواصل، ممَّا يكشف عن وجود انسجامٍ داخليٍّ يخدم المقاصد الدلالية، فعلى مستوى الفواصل القرآنية تميَّزت سورة الفرقان بتنوُّع إيقاعيٍّ زاد من انسجام الصوت مع تنوُّع مقاصدها، ولم يكن عائقًا في ذلك، ويدخل هذا التكرار المتنوع للفواصل ضمن المقاطع الموضوعية المتقاربة، خاصَّة في سياق إثبات الألوهية وإنذار الكافرين، وهو ما يُعرَّف في لسانيات النصِّ بالتكرار الصوتي الوظيفي الذي لا يَرِدُ اعتباطًا؛ بل يؤدي وظيفة دلالية في النص.

ويتناسب هذا التنوُّع الصوتي بشكلٍ واضحٍ مع فواصل سورة الملك وإيقاعها الصوتي، حيث امتازت هذه الأخيرة بتناغمٍ صوتيٍّ شبه موحَّد، ممَّا خلق إيقاعًا دائريًا منتظمًا، اتَّضح من خلال تقارب مخارج الأصوات وصفاتها، وفي ذلك خدمةٌ لمقاصدها المتماثلة في الهيمنة الإلهية وإنذار المكذِّبين.

ويُعدُّ هذا النوع من الإيقاع من أنواع التوازي (Parallelism) بمعنى أنَّ ورود البنية الصوتية بشكلٍ مكرَّر يؤدي وظيفة تأكيدية وتراكمية، فيحدث التناصب بين تكرار الفواصل وأصواتها لتأدية المقاصد المتنوعة في سورة الفرقان، لتأتي الملكُ بفواصلها المتوازية لتؤكد ما جاءت به الفرقان من حُجج وإثباتات. ومن خلال هذا التكامل الصوتي الذي جسَّدته الفواصل؛ يتَّضح جزءٌ معتبرٌ من التناصب بين سورتَي الفرقان والملك. ولا يتوقَّف التناصب عند تكرار الحرف والوزن فقط؛ بل تخطَّاه إلى الألفاظ أيضًا، إذ نجد أنَّ لفظة: "نذير، سكير، مصير، قدير" تكرَّرت بالصيغة نفسها والموضع ذاته في الآيات، إذ احتوت على الفاصلة

المتقاربة في كلتا السورتين، وهذا التوافق بهذه الصورة يحيل إلى تناسب لغوي موجود بين هاتين السورتين لا في غيرهما.

وتنوعت الفاصلة فشملت صيغة أخرى مع الحرف الأخير نفسه، ونذكر منها: ﴿مِنْ فُطُورٍ﴾ ﴿إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ﴿عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ وهي الأخرى موجودة في سورة الفرقان بحيث لو أمعنا النظر لوجدنا اتّفاق السورتين في الفاصلة نفسها، حتّى في لفظة "نفور" بذاتها. وإذن؛ فقد ظهر التناصب الصوتي واضحاً في هذه الفاصلة فكان التوافق في الصيغة والحرف الأخير، بل تجاوز ذلك إلى التوافق والتشاكل في بعض الألفاظ الدقيقة وهو ما سيفصل فيه العنصر اللاحق في دلالات الألفاظ والصيغ الصرفية، ويبقى هذا التناصب الصوتي أمراً مميزاً يختصّ بتناسب السورتين.

2-2- المستوى الصرفي: تُعدّ المفردات من أهمّ العناصر المشكّلة للانسجام والترابط النصّي، وتُعدّ متابعة المفردة القرآنية منحى دقيق المسلك، واضح المآخذ، يسهم في بناء التناصب بشكل واضح، لأنّ ورود اللفظة في موقع بعينه من الآية ومن السورة ليس اعتباطاً؛ بل لدلالة خاصّة ومقاصد مضبوطة، وإنّما وضع اللفظ ليبينها ويفصح عنها.

ويعدّ التطرّق للفظ في صيغه الصرفية واشتقاقاته من أهمّ مستويات التناول اللغوي في إثبات التناصب بين النصوص وإظهاره، وبما أنّ الألفاظ عناصر تُسهم في الترابط النصّي؛ فإنّ تتبعها يكشف عن الوظائف الدلالية والسياقية التي تؤديها، فتبرز بذلك العلاقات التي تربط بين سورة الفرقان وسورة الملك؛ وسيقتصر البحث على تتبع الصيغ والأوزان التي نجسّد التناصب اللغوي المفترض بين السورتين.

وستنكّى هذه المتابعة على مقولات علم الصرف وأدواته بوصفه علماً يختصّ بدراسة تغيّرات بنيات الكلمات وثباتها، في إطار ماهيتها العامّة ضمن أقسام الكلام العربي الشهيرة، وهو ميزان العربية.

2-2-1- مفردة "تبارك" وموقعها: تعلن السورتان منذ البداية على توافق كلمتي لافِت، وكأنهما تتبهران

القارئ إلى تدبر ما بعد اتفاق فاتحتيهما. كما خدم توافق جملة من الكلمات ذات الجذور الواحدة في متني السورتين التناصب بينهما. ومن خلال ذلك خدم السياق العام وتقاربت مقاصد الآيات فيهما.

وفاتحة السورتين لفظة جوهريّة في وزنها الصّرفي، وموقعها الافتتاحي، فقد شكّلت بنية افتتاحية لافتة في كلتا السورتين، فحققت ما يسمّى بالتّوازي التّركيبي (Parallelism) أي تشابه أو تماثل البنى التركيبية في جملتين أو أكثر، مع المحافظة على قدر من التوافق في الوظيفة والدلالة؛ وجاء المفتتح على وزن "تفاعل مطاوع بارك، وهو فعل لا يتصرّف، ولم يستعمل في غيره تعالى، فلا يجيء منه مضارع، ولا اسم فاعل ولا مصدر"¹ وقد ثبت سياق السورتين ذلك مستهلاً بمعنى تعظّم، وهي صفة إلهية محضة، تعود على الله تعالى أينما ذكرت، وحضرت في الآية الأولى من سورة الفرقان بقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1] بمعنى عظمت بركات الله وكثرت وبانت بتنزيل الفرقان.

ووردت كلمة تبارك بلفظها وصيغتها في مفتتح سورة الملك مرة واحدة مرتبطة بالملك في سياق واحد أي في الآية الأولى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: 1]، لتثبت بأنّ العظمة لله وحده وتؤكد سلطانه على الكون وقدرته في تيسيره، فهو خالقُه ومالكه، فلا ملجأ إلا إليه، ولا مفر من أحكامه.

فالتّماثل الصّرفي في لفظة: تبارك، وفي مفتتح السورتين له دلالة لسانية موضوعية كبيرة، بما تحمله من إشارة إلى وجود هذا النمط من التّماثل الصّرفي من جذور أخرى في السورتين، وبما يسهم في تشكيل التّناصب العام.

¹ - محمّد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1993م، ج6، ص440.

2-2-2- صفة النذارة: وردت بصيغة اسم الفاعل على وزن فعيل إذ أن الفعل المتعدي يأتي اسم

فاعله على وزن فعيل ووضح سيبويه هذا فقال: "وقد جاء شيء من هذه الأشياء المتعدية التي هي على فاعل على فعيل"¹ فجاءت نذير على هذا الوزن للدلالة على ثبوت صفة التحذير واستمرار التبليغ ودوامه رغم أنها وردا في سياقات متعددة منها في سورة الفرقان في الآية السادسة والخمسين: ﴿لَا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ حيث جاءت هنا في وصف النبي ﷺ.

ومثالها من سورة الملك: ﴿أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الملك: 26] لتبين أن النبي ﷺ ما جاء إلا مبشرا ونذيرا وليس له من علم الغيب شيء، فوردت الآية في سياق بيان وظيفة النبي المبعوث بها ووصفته "أنه ليس إلا نذيرا للبيان والتبليغ"²؛ فاختيار هذا الوزن الصرفي لم يكن اعتباطا، بل بدا متوافقا مع البعد التداولي للسورتين في إقامة الحجة على المكذبين وتنبيه الغافلين، إذ يوحي البناء (فعيل) بقوة الحضور واستمرار الأثر، وكأن النذارة صفة متأصلة لا تنقطع بتجدد الأزمنة والأحوال.

وقد أدى ورود الصيغة نفسها في سورتي الفرقان والملك إلى بناء اتساق معجمي أسهم في ربط السورتين لفظا ومضمونا، وربط بين محوريهما الموضوعيتين ربطا يشعر المتلقي بوحدة الخطاب القرآني وتماسكه، فحقق بذلك الانسجام التداولي عبر المقاصد التي خدمها المصطلح. وجاءت لفظة (نذير) متجاوزة حدود الإخبار العابر إلى معنى الصفة الملازمة التي لا تنفك عن صاحبها.

2-2-3- لفظتا الغتو والنفور: وهما من المصادر النادرة التوارد في الذكر الحكيم وجاءا على وزن

فُعول وهو "مصدر للثلاثي اللازم من باب "فعل" بفتح العين"³ للدلالة على المبالغة في الأمر والإفراط فيه، حيث جاءت الدلالة ذاتها في السورتين، فلفظة (الغتو) شدة الاستعلاء والطغيان "ووصفه بكبير المبالغة في

¹ عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، مصر، 1988م، ج4، ص7.

² محمد عزة دروزة، التفسير الحديث، ط2، دار الغرب الإسلامي، مصر، 2000م، ج5، ص382.

³ مصطفى بن محمد سليم العلايني، جامع الدروس العربية، ط28، المكتبة العصرية، لبنان، 1993م، ص164.

إفراطه، أي: لم يجسروا على هذا القول إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو¹ وجاءت لفظة (النفور) أيضا على الوزن ذاته لتصف شدة نفور الكفار من الصلاة وعبادة الله تعالى، "قلما أمروا بالسجود للرحمان زادوا بُعْداً من الإيمان"² وفي التعبير على هذا السلوك بلفظتي العتو والنفور أبلغ الوصف وأكمل البيان. ويتضح من خلال تتبع لفظتي (العتو) و(النفور) على وزن "فُعول" أن البنية الصرفية أسهمت في تكثيف المعنى وإبراز دلالة المبالغة والإفراط في السلوك، إذ عبّرت لفظة (العتو) عن بلوغ الكافرين أقصى درجات الاستكبار والظلم، بينما جسدت لفظة (النفور) شدة إعراضهم وابتعادهم عن الإيمان والدعوة للعبادة، وبذلك تحقق بين اللفظتين تماثلاً دلاليّ وصرفيّ عزز الاتساق المعجمي والوحدة الموضوعية بين السورتين.

2-2-4- لفظتا الزفير والشهيق: وهما مصدران سماعيان مشتقان من الفعلين الثلاثيين: "زَفَرَ" و"شَهَقَ" وقد جاءا على وزن "فَعِيل" للدلالة على الصوت والحركات المتكررة والانفعالات القوية. فجاءت (الزفير) في قوله تعالى من سورة الفرقان: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: 12] ودلّت على "امتداد النفس من شدة الغيظ وضيق الصدر"³ أي صوت تنفّس جهنم الصادر بقوة وشدة من تغيظها، أما (الشهيق) فوردت في سورة الملك في قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ﴾ [الملك: 7] فصوّرت "تردّد الأنفاس في المصدر لا تستطيع الصعود لبكاء ونحوه"⁴ وذلك الصوت الشديد صوت جهنم أثناء التهابها على الكافرين.

حقّق مجيء الصيغتين على الوزن نفسه انسجام صوتي ودلالي، إذ صوّرت اللفظتان هول العذاب وشدة الالتهاب تصويراً حيّاً، فكان للتقارب الصرفي بينهما أثر في تعزيز الإيقاع الدلالي والتناوب التعبيري في السياق القرآني، ممّا أدّى إلى التّكامل الدلالي، حيث أنّ اللفظتان متكاملتين علمياً.

¹ - محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج6، ص451.

² - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دط، الدار التونسية، تونس، 1984م، ج19، ص16.

³ - المرجع نفسه، ج18، ص333.

⁴ - المرجع نفسه، ج29، ص23.

2-2-5- حضور الجذر (ك ف ر) بين الصيغ والدلالة: ورد الجذر (ك ف ر) في سورة الفرقان

بصيغته نحو خمس عشرة مرة، ومن شواهد في السورة: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الآية الرابعة. ﴿لَا كُفُورًا﴾ من الآية الخمسين. ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ﴾ في الآية الخامسة والخمسين. كما تتنوع حضور الجذر بين الفعل والاسم والصفة، فورد فعلاً، نحو: (كفروا) وتكررت مرتين. وجاء بصيغة الماضي حاملاً دلالة تقرير الحقائق والوقائع. وظهرت بعد الفعل (قال) لتحسم الأمر فيما قاله الكافرون، وما سيلقونه بكفرهم. ووردت بمقصد الإخبار "عن سخافة عقول الجهالة من الكفار"¹ واقترائهم على القرآن الكريم.

ووردت في سورة الملك مرة واحدة لتبين مصير الكفر، وهو عذاب جهنم وبئس المصير حين "طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة، ويرمى به"² ووردت مرتين عارضةً أفعالهم واستهزاءهم، ثم وردت مرة واحدة أخرى في سورة الملك مثبتة نتيجة مردّها ما يظهره التناصب اللغوي بين اللفظتين، فما جاء في سورة الملك كان خاتمة لما فصل في الفرقان.

وجاء الجذر (ك ف ر) بصيغة الجمع في سورة الفرقان بلفظة (الْكُفْرَيْنِ) في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: 26] في سياق وصف يوم يكون على الكافرين عسيراً شديداً، يلقون فيه مصيرهم ويتحقق فيهم وعد الله، وكان وعده مسؤولاً، فيعضّ الظالم على يديه ندماً على الكفر. ووردت أيضاً في قوله تعالى ﴿فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 52] نهياً للنبي ﷺ عن اتباعهم وبذل جهده في تبليغهم الرسالة ومجاهدتهم بالقرآن جهاداً كبيراً.

وجاء الجذر ذاته بالصيغة نفسها في سورة الملك فورد مرتين، أولاهما: ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: 20] وفي سياق بيان قدرة الله تعالى وعظمة خلقه، مخاطباً عقولهم، ومثبتاً لهم قدرته بعد تماديهم في

¹ - أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: حكمت بن بشير بن ياسين، ط1، دار ابن حزم، لبنان، 2000م، ج5، ص1350.

² - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص3343.

العناد، وثانيهما ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: 26] التي جاءت في سياق خطاب الرسول ﷺ للكافرين بأمر من الله أن يبين لهم أنه والمؤمنين حائزون برحمة الله وفائزون بالعفو من العذاب، أما هم فمن يحميهم ويمنعهم من ذلك العذاب الذي ينتظرهم ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الملك: 28] إذ جاءت المفردة في سورة الفرقان مخاطبة لهم في وصف اليوم الشديد الذي ينتظرهم، وعند إصرارهم على العناد أمر الله تعالى الرسول ﷺ بأن يجاهدكم بالقرآن ولا يتبع أهواءهم وعنادهم، ثم جاءت في سورة الملك لتثبت لهم الضلالة التي هم فيها، فإصرارهم على عنادهم تبين مصيرهم، فكانت المفردة الأولى في السورتين خطابا لهم، والثانية خطابا للرسول بأن يتجاوزهم، فأمرهم ظاهر.

وجامع الكلام حول حضور جذر (ك ف ر) بصيغته في السورتين، أنه شكّل محورا دلاليا مركزيا عمل على بناء ثنائية الإيمان والكفر، حيث استعمل في تصوير مواقف المكذّبين بالوحي، ووصف إنكارهم وعنادهم، وتوضيح صور اعتراضهم، وربط ذلك بمصيرهم الأخروي، فجاء في الفرقان ضمن خطابٍ حاجيٍ تداولي يبرز أقوال الكافرين واستهزاءهم، بينما ورد في سورة الملك مبينا عاقبتهم ومتوعدا لهم نتيجة أعمالهم في سياقٍ تقريريّ يبرز تكامل الوارد من الجذر بين الملك والفرقان.

والغرض من ورود هذا الجذر بصيغته في السورتين مزدوج يتمثل جانب منه في كشف مواقف الكافرين وأعمالهم وتكفّلت به سورة الفرقان. ويبين جانبه الآخر نتيجة أعمالهم ومصائرهم وتكفّلت به سورة الملك. وبذلك يظهر مدى حضور الصيغ الصرفية في بناء التناصب اللفظي بين السورتين، واتّفاقيهما في وحدة الموضوع.

2-2-6- الجذر (ق و ل) ومتابعة نمط الحوار: ورد هذا الجذر في السورتين بصيغة الأفعال فقط، وتتوّعت بين ماضٍ ومضارعٍ وأمرٍ وفعلٍ ما لم يُسمَّ فاعله، ففي المضارع ورد الفعل في خطاب الكافرين، وجاء في قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلُّنَا عَبْدِي﴾ [الفرقان: 17] لتقريع الكفار بعبادتهم آلهة غير الله تعالى، ووردت جمعا مضارعا في تقريع الكفار في ادّعائهم عن من أضلّهم السبيل ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾

[الفرقان: 19] وحضرت بصيغة المضارع للغائب (يَقُولُونَ) في الآية: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: 22] ليبيّن لهم قول الملائكة التي جاءت لتبشّرهم بعذاب النار؛ وجاءت أيضا على لسان الكافر في وصف شدة ندمه في الآية السابعة والعشرين: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي﴾؛ ووردت أيضا في الآية الخامسة والستين في دعوة عباد الرحمن لله تعالى بأن يصرف عنهم عذاب جهنم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ ونفس السياق في الآية الرابعة والسبعين: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾؛ فنجدها وردت في المضارع خمس مرات لتثبت عناد الكافرين واستمراره رغم وضوح الأدلة والحجج حول عظمة الله وقدرته؛ ونجدها بالصيغة نفسها في سورة الملك، وذلك في الآية الخامسة والعشرين: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا﴾ بلفظة (وَيَقُولُونَ)، حيث أسندت إلى الكافرين في سياق ردّهم المتمسم بالاستكبار والعناد تجاه الوعد الذي توعدّهم الله به، وهو عذاب جهنم ليأمر الله نبيه بـ "قل" بأن الساعة علمها عند ربي وإنما الرسول ما هو إلا مبلغ ونذير. وعليه ورد الفعل قال في المضارع لبيان الجدال المتكرر والمستمر للكافرين حيث يعكس ثباتهم في العناد والإنكار ثم جاءت في سورة الملك -يقولون- لتبرز وتوضح مدى ضلالهم وكفرهم حيث وصل بهم الأمر إلى حدّ استهزاءهم بالساعة.

وجاء الجذر بصيغة الماضي أيضا، وذلك في الآية الرابعة من سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ﴾ وأحالت على الكافرين وجاءت في سياق التّكذيب والافتراء عن القرآن، وبعدها في الآية الخامسة جاءت في الجمع ﴿وَقَالُوا﴾ حيث تعود على افتراء الكافرين على النبي محمد ﷺ بزعمهم أنّه اختلق القرآن، فجاء الرّدّ بأمر من الله تعالى لرسوله ﷺ بأن يبيّن لهم أنّ الذي أنزل القرآن هو عالم الغيب؛ ثم وردت الصيغة نفسها في جدال آخر في الآية السابعة: ﴿وَقَالُوا مَالٍ﴾ حين نقلت استهزاء الكافرين ببشرية الرسول ﷺ وبعدها في الآية الثامنة: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ وفيها تكلمة استهزائهم بالرسول ﷺ ووصفهم له بالرجل المسحور، وجاءهم الرّدّ من الله دفاعا عن رسوله ﷺ في مقارنة بين النار التي أعدت لهم، وبين جنّة الخلد التي وُعد بها المتّقون.

ورغم قوة الأدلة التي أقامها الله على الكافرين؛ فقد قابلوا ذلك بالإنكار وعدم الاعتراف، بل استمروا على عنادهم وقالوا لمحمد ﷺ لو تنزل ملكا أو نرى الله ليخبرنا عن صدق رسالتك. لكن ذلك لن يكون حتى يأتي اليوم الوعيد، والشاهد من هذا في الآية الواحدة والعشرين: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ أَسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 21]. ووردت (قال) في الآية الثلاثين: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ في خطاب النبي شاكيا لله من هجرة قومه للقرآن "فهذا القول من الرسول وشكايته فيه تخويف لقومه"¹ وتنقل الآية الثانية والثلاثين بلفظة ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ استهزاء الكافرين من عدم تنزيل القرآن جملة واحدة؛ وردت في الآية السادسة والثلاثين عبارة ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبًا﴾ في سياق عرض قصة موسى وهارون عليهما السلام، لتؤدي وظيفة دلالية تتمثل في بث الطمأنينة في قلب النبي ﷺ، والتأكيد على أنه ليس منفردا في مواجهة أذى الكافرين، بل قد سبقه إلى ذلك رسل عانوا مثل هذه المعاناة. حضرت -قالوا- في الآية الستين للدلالة على إنكار الكافرين وتكذيبهم لوجود الله؛ وبذلك تكون قد تكرر الجذر ثماني مرات في السورة لتبين إصرار الكافرين على أعمالهم ودوامهم عليه.

ووردت هذه الصيغة نفسها في سورة الملك؛ فكما افتتح الفعل (قال) بصيغة الجمع في سورة الفرقان، يرد الأمر على النحو ذاته في سورة الملك، وتشهد الآية التاسعة بذلك؛ إذ تكشف مآل استهزائهم وما آلا إليه من شدة العناد. ففي ذلك اليوم، حين يسمعون شهيق جهنم، يستحضرون ما جاءهم به الرسول ﷺ من بيان، وما وعدوا به من وعيد، فيعتفون بأعمالهم، ويقررون -كما في الآية العاشرة: ﴿وَقَالُوا لَوْ أَنَّهُمْ لَوْ أَصْغَوْا إِلَىٰ الْحَقِّ وَعَقَلُوهُ، لما انتهى بهم المصير إلى جهنم، وذلك على نحو مماثل لما تقدم إذ نجدها قد تكررت مرتين، لتحسم مصيرهم، وتؤكد أن إصرارهم على الكفر مآله الحتمي جهنم، وأن ندمهم المتأخر لن يجدي عنهم نفعا.

¹ - محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج6، ص455.

ورد الفعل (قال) في صيغة الماضي في الفرقان في موضع نقل أخبار الكافرين وشدة عنادهم وإصرارهم على الكفر، رغم الأدلة المقنعة والوعيد بجهنم، ووصف شدتها وحزها، إلا أنهم قابلوا ذلك بالإصرار على الكفر والإمعان فيه، وجاء الفعل في الملك بالصيغة نفسها في نقل صور الندم والحسرة، ويبرز التناصب اللفظي في تقديم مشاهد العناد في الفرقان، وتوثيق شهادتهم على أنفسهم وهم يلقون جهنم مصيرا لهم، وقد اتضح لهم ما صنعوا فاعترفوا بندمهم لكن هيهات ينفع الندم.

وحضر الجذر (ق و ل) بصيغة ما لم يُسم فاعله مرة واحدة في الفرقان: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا﴾ [الفرقان: 60] مرادا به رسول الله ﷺ أمرا الكافرين بالسجود لله تعالى، فرؤوا على قوله: "أنسجد لما تأمرنا من غير علم ببيانه"¹ فزادهم هذا الإنكار بعدا ونفورا، وورد في الملك في سياق مواجهة عاقبتهم التي تقدمت أسبابها في الفرقان ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ [الملك: 27] جزاء عنتهم الذي كانوا يريدون الوصول إليه، ويطلبون تعجيله، ها هو رأي أعينهم.

يتجلى ورود الجذر (ق و ل) في سورة الفرقان والملك وتكراره لغرض لسانى واضح، وهو إسهامه في بناء بنية حجاجية في السورتين، وقد أدّى تنوع الصيغة بين الماضي والمضارع والأمر إلى تأدية وظائف تداولية مختلفة، فاستعمل الماضي في تصوير مواقف الكافرين وعرض الوقائع القولية، واستعمل المضارع للدلالة على استمرار الكافرين في عنادهم وإصرارهم على كفرهم، ممّا يعكس دينامية الخطاب، وضمن هذا السياق يظهر أنّ ورود الجذر في سورة الفرقان أكثر من سورة الملك بما يعزّز الطابع الجدلي والتفاعلي في الأولى، بينما وردت اشتقاقات الجذر في سورة الملك لتوضيح نتيجة إصرارهم وعنادهم. ومن خلال سياقات الجذر يتضح أنّ سورة الملك مكملّة لما جاء في الفرقان ونتيجة لما تقدّم فيها، ويثبت جانبا كبيرا من التناصب اللفظي بين السورتين.

¹ - محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج 6 ، ص 466.

2-2-7- الجذر (ك ذ ب) انعكاس سلوك منكري النبوة عبر التاريخ: لم يرد هذا الجذر بالقدر الذي

وردت به جذور لغوية أخرى كالجذر (ج ع ل) والجذر (ر أ ي) لكنه خدم المقصد العام للسورتين بشكل مباشر وهذا هدفنا من تتبع الجذور اللغوية الواردة فيهما، وذلك لأجل إثبات التناوب الموضوعي بينهما، وعليه حضر الجذر (ك ذ ب) في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: 11] بصيغة الفعل الماضي، ليفيد الإقرار بأعمال الكافرين، ويُجسد شدة إنكارهم للرسالة الإسلامية، ولا سيما إنكارهم ليوم القيامة. وقد ورد في سياق يبين فيه الله للنبي ﷺ أَنَّ الكافرين لم يُكذِّبوا محمداً ﷺ لذاته، وإنما كَذَّبوا بالسَّاعة، ثم جاءت لفظة (كَذَّب) في الآية نفسها لتبين مصيرهم، فمن كَذَّب بالسَّاعة لقي نار جهنم ثم ورد في الآية التاسعة عشرة: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ﴾ أيضا في صيغة الماضي -كذَّبوكم- في سياق إنكار الآلهة التي يعبدوها هؤلاء المشركون من دون الله، فكذَّبْتهم ولم تستطع لهم نصرا؛ ووردت أيضا في الآية السادسة والثلاثين: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ في سياق سرد قصص أقوام الأنبياء الآخرين، تسلياً للنبي ﷺ وتثبيتا له، مع تأكيد سنة العذاب في المكذِّبين؛ إذ يلقون المصير نفسه الذي لقيه قوم موسى حين كَذَّبوا بآيات الله، وقوم نوح الذين كَذَّبوا فعُوقِبوا بالغرق؛ وكلُّها ترغيب في إيمان كفار قريش، لكنهم قابلوا بالإنكار، وأصروا على ما فعلوا فبيَّنت الآية السابعة والسبعون: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ مصيرهم، فسيسوقهم تكذيبهم إلى عذاب في الدنيا والآخرة.

أما في سورة الملك فورد الجذر (ك ذ ب) في سياق الاعتراف والندم بعد المعاناة ﴿فَكَذَّبْنَا﴾ في الآية التاسعة في صيغة الماضي أيضا لتبين إجابة الكافرين عند رؤيتهم جهنم واعترافهم بالرسول الذي كان نذير لهم لكنهم أصروا على الإنكار رغم أَنَّ الله تعالى بيّن لهم تكذيب الأقوام السابقين وهذا السياق بيّنته الآية الثامنة عشرة ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك: 18].

وجملة القول في حضور هذا الجذر بصيغته في السورتين، أنه ورد في صيغة الماضي فقط ليقرّ بالحقائق، ويصف المشاهد، ويعرض الأحداث التي صدرت من كفار قريش، ويبيّن إصرارهم على الإنكار

والكفر رغم ما ظهر لهم من الأدلة العقلية، وما ذكروا به من الوعيد والعذاب الذي مسّ المكذّبين من الأقسام السابقين، لكنهم أصرّوا وعاندوا، ثمّ جاءت سورة الملك ليكشف الجذر نفسه عن مصيرهم، ويبرز اعترافهم بندمهم بعد فوات الأوان، وتيقّنهم مآل تكذيبهم. وكما كذبوا بالسّاعة وعاندوا، ولم يعتبروا بعذاب الأُمم السابقة فإنّهم سيلقون المصير نفسه.

وهكذا سجّل هذا الجذر بسياقه في السورتين دوراً أساساً في إثبات تناسب نصّي بينهما، إذ كان ورود الجذر في صيغة الماضي لتحقيق فعل التّكذيب وثبوته سلوكاً لازم الكافرين في طابع جدليّ اعتراضيّ تخلّل سورة الفرقان، ثمّ جاء في سورة الملك مبيّناً موقف المنكرين، ومثبّناً مصيرهم بالفعل نفسه في سياق خطاب الاعتراف والنّدم.

2-2-8- الجذر (س م ع) والجذر (ع ق ل) وعاقبة تعطيل وظائف الحواس: ورد الجذران متجاورين

في السورتين وكلاهما في صيغة المضارع، حيث ظهر في سورة الفرقان: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ [الفرقان:44] وجاءت في خطاب النبي ﷺ عن الكافرين الذين كذبوا بما جاء به، واستهزئهم بما دعاهم إليه، ونقل أسفه ﷺ على مواقفهم وتعنيفهم له، فجاءت الآيات مؤنسةً له، ومبيّنة أنّ من أطاع إلهاً غير الله بهواه، فقد عطّل سمعه وعقله عن فهم آيات الله، وهم في ذلك "مشبهين بالأنعام التي هي مثل في الغفلة والضلال"¹؛ ثمّ جاءت سورة الملك تؤثّق الاعتراف والنّدم على ما سبق منهم ممّا جاء في الفرقان، فجاء على لسان الكافرين قولهم: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ فاعترفوا بذنبهم، ولو سمعوا وعقلوا ما جاءهم من ربّهم وأدركوه؛ ما كانوا من أصحاب السّعير.

فقد نقلت سورة الفرقان مشهد تعطيل الكفار لحواسهم وتحديد إدراكهم بالحقائق، وصوّرت مواقف إنكارهم وتكذيبهم في سياق خطاب النبي ﷺ لهم عمّا جاءهم به من الله تعالى؛ لتثبت سورة الملك حقيقة

¹ - أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، الكشّاف عن حقائق غوامض التّزويل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، ص 2269.

الخطاب ببيان نتيجة عدم سمعهم وفهم رسالة الله إليهم من طريق نبيه ﷺ في خطاب الفرقان؛ وعلى "الترتيب نفسه. وهذا بدوره يدلّ على شدة التلاحم بين السورتين"¹ ليضاف هذا التوافق إلى ما سبق من المظاهر الصرفية التي تؤكد مرة أخرى العلاقة الخاصة بين السورتين.

وللوقوف على المشهد الكامل الذي صنعتها الصيغة الصرفية لبعض الجذور ذات الدلالة النوعية

وإثبات تميز هذه العلاقة؛ نعرض حضور المفردات بصيغها في الجدول التالي:

الجذر/ اللفظة	صيغه في سورة الفرقان	نوع الصيغة	صيغه في سورة الملك	نوع الصيغة
تبارك	تفاعل	صيغة مبالغة	تفاعل	صيغة مبالغة
نذير	فعل	اسم فاعل	فعل	اسم فاعل
الْعُتُو وَالنُّفُور	فُعُول	مصدر دال على المبالغة	فُعُول	مصدر دال على المبالغة
الشَّهيق			فعل	صفة مشبهة دلت على الصوت
الزَّفِير	فعل	صفة مشبهة دلت على الصوت		
ك ف ر	كفروا	فعل ماض	كفروا	فعل ماض
	كفورا	فعلولا	الكافرين الكافرون	جمع المذكر السالم
	الكافر	فاعل		
	الكافرين	جمع المذكر السالم		
ق و ل	قال قالوا قلنا	فعل ماض	قال قالوا قلنا	فعل ماض

¹ - امحمد محمد صافي المستغامي، جواهر الدرر في علم مقارنة السور، ص214.

يقولون	فعل مضارع	يقولون	فعل مضارع
قل	فعل أمر	قل	فعل أمر
كذبوا كذب	فعل ماض	فكذبنا كذب	فعل ماضي
يسمعون	فعل مضارع	نسمع	فعل مضارع
يعقلون	فعل مضارع	نعقل	فعل مضارع

يعكس الجدول حضوراً ملحوظاً للتوازي الصرفي بين سورتي الفرقان والملك، حيث ترددت الجذور نفسها ضمن صيغ متقاربة (ماضٍ، مضارع، أمر)، ممّا يعزّز ترابط وحدة القول الدلالية بالتكذيب والقول والإدراك. ويظهر جذر (ق و ل) بوصفه مركزاً تداولياً في السورتين، حيث يكثر حضور صيغ الماضي والمضارع والأمر عاكسة حيوية الخطاب الحجاجي واستمراريته.

وفي المقابل، يكشف جذر (ك ف ر) عن اتساع الاشتقاق في سورة الفرقان (كفور، الكافر، الكافرين) بما يعبر عن التنوع في تصوير حالات الكفر ودرجاته، بينما يرد في سورة الملك بصيغ أقل تنوعاً وأكثر تركيزاً وانسجاماً مع طابعها العام القائم على التّقرير والتّوكيد.

أمّا الجذور: (ك ذ ب) و (س م ع) و (ع ق ل) فتبرز انتقالاً من الفعل الماضي إلى المضارع، بما يبرز الامتداد الزمني للدلالة، ويجسد استمرارية مواقف المكذّبين مقابل دعوة الإدراك والتّعقل.

وخلاصة القول، فيما أسهم به تناسب الصيغ الصرفية في تشكيل التناصب العام بين السورتين؛ أنّها لم تقف عند حدود التشابه الشكلي، بل أسهمت في بناء انسجام نصي عميق يختصر في عبارة: لقد كذب الكافرون في أقوالهم بعدما سمعوا دعوة الحق وعاینوا دلائلها، غير أنّهم أعرضوا عنها عناداً واستكباراً، فلم ينتفعوا بما سمعوا، ولم يُعْمِلُوا عقولهم في تدبر آياتها، فكان تكذيبهم نتيجة خلل في الاستجابة لا في وضوح الحجّة، وكانت عاقبتهم من جنس مواقفهم.

وفي ختام هذا العنصر يتبين أنّ الكشف عن النظام الاشتقاقي للمصطلحات البؤر بين سورتي الفرقان والملك تبياناً للتناصب اللفظي القائم بينهما، بحكم أنّ المفردة في القرآن دقيقة المأخذ، لطيفة المسلك، فكل كلمة تحتل مكانها الصحيح، ويُعدّ تتبّع المفردات القرآنية وصيغها ضمن السياق الذي وردت فيه جزءاً أساسياً من التناصب المضموني الذي سيستوي لاحقاً، فقد أظهرت وظائف الأفعال بدلالاتها وحسب سياقاتها وصيغ الجمع بما جسّدته من البعد الجماعي للمكذّبين، وصيغ المبالغة والمصادر بما حملت من دلالات دقيقة؛ كلّ ذلك أظهر فعالية النسق الصرفي المتوازي بين السورتين، حيث ساعد في تشكّل المعنى ضمن نسقٍ متقارب، كما أنّ هذا التوازي الصرفي لم يقتصر على تحقيق الاتساق الشكلي فقط؛ بل تخطّاه إلى الانسجام الدلالي والسياسي أيضاً.

لقد وجدنا أنفسنا أمام توحيد متناغم للحقول المفهومية في السورتين، واستمرارية دلالية أسهمت في تثبيت المعنى وتوجيه التأويل نحو المقصد المطلوب، إضافةً إلى أنّ هذا التوافق الصرفي قد حقّق ترابطاً نصياً أفقياً داخل كلّ سورة، فشكّل تكاملاً دلالياً عمودياً بين السورتين، وهو ما نلاحظه من خلال توزع الوظائف التعبيرية الموحدة بينهما؛ وجعل البنية الصرفية آلية أساسية كشفت عن الانسجام والتكامل المضموني بين السورتين.

2-3- المستوى التركيبي: يعدّ المستوى التركيبي أحد أهم الآليات اللسانية التي تُسهّم في تحقيق

الاتساق النصي والتماسك الدلالي، وتتجسّد هذه الآلية بشكل واضح في البيان القرآني. ويُعدّ الكشف عنه بياناً لوجود التناصب اللغوي، إذ يتجلّى من خلال تناسق البنى الأسلوبية، وتوازي التراكيب، وتكرار الصيغ النحوية التي تُقيم آلية الاتساق الأساسية، وتخدم الترابط النحوي وهي الإحالة.

تعمل الإحالة بما لها من قدرة الامتداد على سطوح النصوص على ربط التراكيب وتوجيه مرجعياتها عبر أدوات لغوية كالضمائر وأسماء الإشارة وغيرها. وانطلاقاً من هذا؛ تتضح لنا تلك العلاقة التفاعلية بين

البنية التركيبية وبين آليات الإحالة النصية في إبراز التناصب اللغوي بين سورتي الفرقان وسورة الملك، ولقد تكررت في السورتين جملة من الأساليب النحوية التي خدمت مقاصدها.

2-3-1- التراكيب الفعلية بصيغة الماضي: ورد هذا التركيب في السورتين في إطار وظيفة سردية

تقريرية تنقل مواقف الكافرين وتُصوّر أفعالهم واعتراضاتهم ويتّضح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا 4 وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ 5﴾ أَكْتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: 4-5] إذ جاءت الآيات في صيغة الماضي، ففي الآية الأولى ورد الفعل (قال) في صيغة المفرد محيلاً على فاعل لاحق ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: الكفار - في إحالة بعدية. وجاءت في سياق تكذيب وافتراء الكفار على محمد ﷺ والقرآن.

وسيقت الآية التي بعدها في جملة فعلية على صيغة الجمع ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ويعود ضمير الجمع الواو في لفظة (وَقَالُوا) على المكذّبين وهي إحالة قبلية تحيل على الكافرين في الآية السابقة، وتدخل ضمن سياق إنكار القرآن وتكذيب الرسول ﷺ. وجاءت الجملة الفعلية للماضي لإفادة تقرير الحقائق وعرض وقائع الكافرين، وتصوير أعمالهم حتّى إذا حلّ بهم العذاب لم يجدوا منه مفرّاً.

وورد في سورة الملك بالصيغة الفعلية ذاتها، وبالموضوع ذاته في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 10] إذ يعود الضمير المتّصل الواو في (قَالُوا) على الكافرين الذين كذبوا محمداً ﷺ وأنكروا ما جاءهم به، ليكتمل المشهد في الآخرة بما صورته سورة الفرقان في الدنيا، إذ بيّنت الآية اعترافهم وندمهم يوم يسمعون زفير جهنّم، فيقولون نادمين: لو سمعنا وأدركنا ما جاء به محمد ﷺ؛ ما كنّا من أهل النار. وجاءت البنية التركيبية لتُصوّر مشهد الكافرين الأخروي وتنقل الأحداث الكلامية "ذات طبيعة قصدية؛ حيث ترتبط الأحداث الجزئية المختلفة بالنتيجة النهائية"¹ وفي ذلك من التوازي

¹ - عزة شبل محمد، علم لغة النصّ النظرية والتطبيق، ط2، مكتبة الآداب، مصر، 2009م، ص22.

التركيبية والإحالي بين الآيتين في السورتين ما لا يخفى، فالأولى عرضت ما صدر من الكفار في الدنيا، والثانية صوّرت مشاهدهم الأخروي بالأسلوب ذاته، واستخدام الضمير المحال به نفسه، لتؤدّي كلتا الآيتان الوظيفة التداولية نفسها وتؤدي إلى مآل واحد.

ويتجلى التناصب الموضوعي بين السورتين في أسلوب لغوي آخر، يظهره موضع قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: 27] إذ جاءت في صيغة المضارع وتتّضح من خلال: الفعلين: (يعضّ)، (يقول). وفي ذلك سرٌّ للوقائع التي سيلقاها الكافرون عند رؤيتهم جهنّم، وتصوير حالتهم التي سيؤولون إليها من الندم الشديد الذي تصوّره الأفعال: (نسمع)، (نעقل) في آية الملك ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 10] وتحتوي الأفعال في هذه الآية ضمائر تعود على الكافرين.

ورد الأسلوب نفسه في صيغة الماضي لتكلم ما سيقولونه في ساعتهم تلك، إذ سيعترفون بإنكارهم وإصرارهم على عدم سماع الرسالة التي بُعث بها محمد ﷺ وتعرض حالتهم التي بينها الله لنبيه أنهم سيمرون بها، فجاءت سورة الملك مثبّته ومكمّلة للمشهد الذي عُرض في سورة الفرقان.

• **جملة أعتدنا:** حضرت مفردة "أعتدنا" في أسلوب مواز بين السورتين، ويظهر ذلك في قوله عزّوجلّ: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: 11] وقوله تعالى في سورة الملك: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 5] فجاءت لفظة (أَعْتَدْنَا) في الماضي بوظيفة عرض الحقائق مقترنة بنون الجماعة العائدة على الله تعالى في إحالة مقامية، فالله تعالى هو الذي خلق جهنّم وأعدّها للكافرين؛ وتضمّن التركيب المفردة نفسها (سعير) وهي من أدقّ صفات نار جهنّم التي سيصلاها الكافرون.

ولتتوافق مفردة (أعتدنا) -أي: خلقناها من أجلهم فقط- في دقة استعمالها؛ يظهر التناصب التركيبي بين السورتين باستعمالها فيهما معا باللفظ والتركيب؛ حيث جاءت الأفعال الماضية خاصة لتقرير حقيقة الكافرين، وتصوير أعمالهم، فاختصّت سورة الفرقان بسرد أعمال الدنيا، وبيّنت سورة الملك مواقفهم من

مصائرهم في الآخرة، فكمّل التركيب المشهد موضحاً التناوب التركيبي الذي خدم المقصد؛ فانتظمت هذه الجمل توازي البنى الأسلوبية والدلالة التي جلاها التركيب في صيغة الماضي بالألفاظ ذاتها.

2-3-2- التراكيب الشرطية: وردت في السورتين تراكيب شرطية توافقت فيها معاً، وخدمت السياق

ذاته فجاء في سورة الفرقان قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ۚ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا صَيِّقًا مُّفْرِنًا دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: 12-13] وجملة الشرط: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ﴾ تعود على وصف النار واقتربت بأداة شرط جازمة (إذا) واقترن الفعل (رأى) بضميرين متصلين، فتاء التانيث تعود على لفظة (سعير) وهي من أسماء نار جهنم، ويعود الضمير (هم) على من كذب بالساعة؛ فتصف جملة الشرط لحظة رؤية هؤلاء المكذبين جهنم. وتأتي جملة جواب الشرط لتكمل الوصف: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ بمعنى: إذا رأت النار هؤلاء المكذبين؛ بدأت بالغيان والزفير من شدة تغيطها لكفرهم فيسمعون هذا؛ فيعود الضمير المتصل: الواو في (سمعوا) على المكذبين أيضاً؛ وتواصل الآية التي تليها سرد الحدث من خلال جملة شرطية أخرى تعزز ثبوت المصير المنتظر، إذ يُستأنف وصف جهنم عند مواجهة الكافرين. فتثبت صحة الموقف الذي ينتظرهم فإذا ألقوا -والواو تحيل على المكذبين- فيها من مكان ضيق وهم مصفدين بالسلاسل. وجراء هذا كان دعاؤهم على أنفسهم بالثبور، أي: الهلاك للخلاص منها. وجاءت جملة جواب الشرط في سياق وصف جهنم ساعة ملاقاتها للكافرين.

وبالصيغة نفسها وألفاظها وسياقها جاء في سورة الملك قوله تعالى: ﴿إِذَا أَلْقَا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك: 7] ف "الجملة مُسْتَأْنَفَةٌ اسْتِثْنَاءً بَيَانِيًّا لِّبَيَانِ دَمِّ مَصِيرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ، أَيِّ مِنْ جُمْلَةِ مَذَامِ مَصِيرِهِمْ مَذَمَّةٌ مَا يَسْمَعُونَهُ فِيهَا مِنْ أَصْوَاتٍ مُّؤَلِّمَةٍ مُّخِيفَةٍ"¹ أي مصير الكافرين؛ وجملة الشرط ﴿إِذَا أَلْقَا فِيهَا﴾ تقدّمتها (إذا) أداة شرط جازمة، والفعل (ألقوا) مبني للماضي و(الواو) ضمير متصل يعود على الكافرين

¹ - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتأويل، ج 29، ص 23.

والمكذّبين بالسّاعة والرّسالة، والهاء في (فيها) تعود على جهنّم، وجواب الشرط غير الجازم: ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ﴾ يعود الضمير المتصل الواو في (سمعوا) على المكذّبين، والضمير المنفصل (هي) والهاء في (لها) عائدتان على جهنّم، وفي ذلك إحالة قبلية في وصف نار جهنّم لحظة إلقاء الكافرين فيها، فإذا طُرِحَ الكافرون في جهنّم قبلوا بـ: "صوتٍ مرعبٍ من شدة فورانها، وتكاد تتشقق وتتفجّر من الغليان أو سخطا على الكفار"¹ ليتبيّن الغرض من هذه الجملة الشرطية متمثلاً في إنذار الكافرين من خلال حجج ترهيبية، تصوّر لهم مصيرهم إذا أصرّوا على الكفر.

وما يستخلص من التّطرق للجملة الشرطية في السورتين، أنّ هناك تناسبا تركيبيا، اتّضح أكثر من خلال هذا الأسلوب، إذ اعتُمِدَ فيه على الألفاظ والصّيغ نفسها، فجاءت الأفعال فيها بصيغة الماضي في الجمع، وتكرّرت نحو: (سمعوا، ألقوا) ووردت أيضا بأداة الشرط نفسها (إذا) وكما أنّ هناك تناسبا تركيبيا موضعيا يتّضح من خلال الإحالة بالضمير، إذ أحال الضمير المتصل (الواو) في السورتين على المكذّبين والكافرين. وأحال الضمير الهاء على نار جهنّم التي تفور من شدة غليانها، حتّى أصبح لها صوتٌ مسموع شديد، وذلك ما يصنع تناسبا وظيفيا ناجما عن تراكيب موزعة في السورتين بعناية، فأدّت الآيات وظيفة دلالية واحدة وهي وصف مشهد لقاء الكافرين لنار جهنّم وهي في شدة غليانها، وفي ذلك حجج ترهيبية علّمهم يعودون عن عنادهم وتكذيبهم، وفيه أيضا وعيدٌ لهم إذا أصرّوا واستكبروا.

وقد كان في هذا التناصب اللغوي الوارد في صيغة الشرط تلميح لتناسب موضوعي بين السورتين، إذ يدور مقصدهما حول إنذار الكافرين وترهيبهم حتّى يثوبوا إلى رشدهم، ويرجعوا عن العناد والتكذيب.

2-3-3- صيغة الاستفهام: تعدّ هذه الصيغة التركيبية من أبرز التراكيب الإنشائية التي تعمل على

تجلية التناصب التركيبي الذي يخدم وحدة الموضوع بين السورتين، حيث ورد في الفرقان قوله جلّ في علاه:

﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: 41] وفي الملك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: 8] وتُجْلِي

¹ - محمّد عزة دروزة، التفسير الحديث، ج5، ص377.

الآيتان دلالة إنكارية وتقريعية تجاوزت طلب الفهم، فأظهر ما جاء من الاستفهام على لسان الكافرين حول النبي ﷺ وما أريد من استنكار بعثته نبياً ونذيراً للعالمين، ورفضهم ما جاء به، واستهزائهم به، وإصرارهم على الإنكار، فنزلت الآيات بهذه الصيغة تحمل إنذارات دنيوية لهم تضمنتها الفرقان؛ ثم جاءت سورة الملك باستفهام يوضح السياق الأخرى مكملاً للسياق الإنكاري السابق في الفرقان ومُحيلاً عليه.

وفي الاستفهامين تقريع وتوبيخ صدر الأول ردّاً على موقفهم المعاند في الدنيا، وصدر الثاني عن خزنة جهنم، إذ كلما أُلقي فيها فوجٌ من الكفار سئلوا عما يؤلمهم: ألم يأتكم رسول نذير؟ ودلّ أيضاً على وظيفة تقريرية تتمثل في عرض وكشف تقصير الكافرين واستنكارهم لمحمد ﷺ ولما بُعث به. ولا يقتصر التناصب على البنية الوظيفية الدلالية؛ بل يتضح أيضاً من خلال التوازي التركيبي، حيث اقترنت أدوات الاستفهام في السؤالين بجملة فعلية تُصوّر الحدث وتفصح عنه. إضافة إلى استخدام أداة الاستفهام نفسها وهي الهمزة. وامتدّ التناصب من التناصب الوظيفي والتركيبي إلى التناصب الإحالي، إذ يحيل السؤالان على موقف المكذّبين من البعثة النبوية، سواء في حالة الإنكار والاستهزاء، أو عند توبيخهم ومواجهتهم للوعيد في الآخرة.

وما يستخلص من هذا التناصب الكلي للصيغة، أنّ الاستفهام أسهم في بناء شبكة دلالية متصلة ومترابطة تنقل الكافرين من مرحلة الإنكار والاستهزاء إلى مرحلة الإقرار والاعتراف والتوبيخ، وهو ما عزز التناصب اللغوي الموضوعي بين السورتين تحضيراً لمستوى آخر من التناصب.

ويتجلى التناصب في استفهام آخر يظهر من خلال قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: 45] وهو استفهام تقريرى يبرز إبداع الله في خلقه، ويُقرّ بحقيقة الخلق والكون، وهو استفهام موجّه إلى النبي ﷺ "والجملة الاستفهامية التي هي معلق عنها فعل القلب ليس باقيا على حقيقة الاستفهام"¹ أي أنّ الاستفهام غير حقيقي (ترى) ليس المقصود منها الرؤية بالعين المجردة؛ بل المقصود منها التأمل

¹ - محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج 6 ، ص 460.

والتدبر في إبداع الخالق للكون، والتَّمَعُّن في قوّته وقدرته على الخلق والتدبير. وجاءت الصيغة نفسها في سورة الملك: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ﴾ [الملك:19] وهو أيضا استفهام بلاغيّ غرضه لفت انتباه الكافرين لقدرته تعالى، وإبداعه في خلق الطير كآية دالة على عظمته وتدبيره.

وبالنظر في تفصيل بنية الاستفهام يتضح التناصب التركيبي بينهما، إذ نجد أداة الاستفهام ذاتها وهي الهمزة، وقد دخلت على جملة فعلية فعلها (رأى) إلا أنّ المخاطب في سورة الفرقان هو الرسول ﷺ والمخاطب في سورة الملك هم الكفار. كما نلاحظ اقتران الفعل فيهما بأداة النفي (لم) لتعزيز البعد التقريري والتوضيحي لخلق الله تعالى وإبداعه في الكون. كما يحيل هذان الاستفهامان على وظيفة إحالية مشتركة، وهي بيان الدلائل الكونية التي أبدها عز وجل دليلا عقليا يبين من خلاله قدرته، وانّفا على وظيفة دلالية واحدة وهي إبراز قوّته تعالى وعظمته في التسيير.

وهكذا؛ فإنّ التناصب الاستفهامي أدّى إلى تحقيق التوازي التركيبي والإحاليّ اللازم لتوضيح مدى اتّفاق السورتين في وحدة المقصد والوظيفة الدلالية، إذ دعت الصيغة المخاطبين إلى التأمل والتدبر في آيات الله الكونية بغرض طمأنة النبي ﷺ وإيناسه في السؤال الأول، وإقامة الحجّة على المكذّبين في السؤال الثاني، لكنّ المقصد واحد وهو بيان قدرة الله تعالى وعظمته.

وللوقوف على ما هيأته التراكيب المختلفة في السورتين من تناسب نوضحه في الجدول:

البنى التركيبية	الورود في سورة الفرقان	الورود في سورة الملك
التراكيب الفعلية ذات صيغة الماضي	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا 4 وَقَالُوا أَسْطِطِعُ الْأُولَىٰ أِكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: 4-5]	﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 10]
	﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: 11]	﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 5]
التراكيب الشرطية	﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا 12 وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: 12-13]	﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ [الملك: 7]
صيغة الاستفهام	﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: 41]	﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: 8]
	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: 45]	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الظَّيْرِ﴾ [الملك: 19]

وما نستخلصه من هذا المبحث أنَّ للبنى التركيبية دورٌ ظاهر في إثبات التناصب اللغوي الموضوعي بين سورة الفرقان وسورة الملك، من خلال آلية الإحالة النصية التي أسهمت في الكشف عن العلاقات الاتساقية والدلالية بين السورتين، وما أفصحت عنه من التوازي الوظيفي بينهما، فقد أسهم تردُّد الجمل الفعلية بمختلف صيغها، والتراكيب الإنشائية بحمولتها الحجاجية، في تشكيل بنية تداولية تخدم مقاصد السورتين، فكشفت عن الوظيفة التقريرية والإنكارية التي امتازت بها تراكيب سورة الفرقان، لتحيلنا على سورة الملك التي تقدِّم نتائج ذلك وتكمِّل مشاهد التقرير بالتقريع والتوبيخ، وتحيلنا بشكلٍ متواتر ومتوازٍ إلى المخاطب في التراكيب، ممَّا يضمن استمرارية الموضوع، وتتابع الدلالة لينتج لنا ما يُسمَّى في لسانيات النصِّ بالتكامل النصي.

إنّ التفاعل بين البنية التركيبية والإحالة النصية قد عزّز التناصب اللغوي بين السورتين، ولم يقتصر على التناصب الشكلي فقط؛ بل أبرز الانسجام النصي العميق الذي يقوم على الترابط اللغوي الخادم للمقصد التداولي العام للنظم القرآني.

وختاماً لهذا الفصل الذي اختصّ بدراسة دور المستويات اللغوية في بناء التناصب الموضوعي بين سورتي الفرقان والملك؛ يتّضح أنّ البنى الصوتية والصرفية والتركيبية لم تكن عناصر معزولة؛ بل تشاركت في تشكيل نسيج لغوي متماسك، رغم ظهورها لأوّل وهلة أنّها تشغل عل مستويات منفصلة، وقد أتاح ذلك التتابع في مراتب الدرس للسورتين أن تُعبّر عن مقاصدهما في صورة منسجمة ومتألّفة؛ فقد كشفت هذه المستويات عن نظام داخليّ دقيق، تتأزّر فيه الأصوات والصيغ والأبنية لإبراز وحدة موضوع متكاملة توزّعت بين سورتين، وترسّخت المعاني المحورية المتعلقة بالتوحيد والإنذار والجزاء فيهما على تتابع مطّرد.

غير أنّ هذا التماسك الموضوعي -على أهميته- يظلّ في حاجة إلى آليات تُظهر كيفية ترابط هذه العناصر داخل البنية النصية الكبرى، وهو ما تُعنى به لسانيات النصّ من خلال مفهومي الاتساق والانسجام؛ إذ لا يكتمل بناء التناصب إلّا بالكشف عن الروابط النصية التي تصل بين الألفاظ والتراكيب، وتوجّه تأويلها ضمن سياقٍ دلاليّ موحّد وتكامليّ.

ويُعدّ الانتقال إلى الفصل الثاني امتداداً طبيعياً لما سبق، حيث سيتمّ الوقوف على دور الاتساق بوصفه آليةً شكلية تُحقّق الترابط بين مكونات النصّ، والانسجام باعتباره بُعداً دلاليّاً تداوليّاً يُسهّم في بناء وحدة المعنى، وذلك قصد تعميق النظر في كيفية تشكّل التناصب الموضوعي بين السورتين على مستوى البنية النصية الشاملة.

الفصل الثاني

دور الآليات الموضوعية في بناء التّناسب

المضمونيّ بين سورتيّ: الفرقان والملّك

استوفى الفصلُ السَّابِقُ المظاهرَ اللُّغويةَ التي أثبتت أشكالاً من العلاقة بين سورتيَّ الفرقانِ والمُلْكِ وأدَّت مباحثَ الدَّرسِ الصَّوتيِّ والصَّرفيِّ والتَّركيبيِّ دوراً واضحاً في إثبات جملة من العلاقات اللُّغوية في حدود التَّراكيب البسيطة للعبارات والآيات القرآنية في السُّورتَيْنِ. وستتكلَّل مباحث هذا الفصل بمتابعة مباحث من نوع آخر تتجاوز ما اقتصرت عليه آليات الصَّوت والصَّرف والتَّركيب، لإثبات علاقات أخرى تمتدُّ على سطحٍ أكثر شمولاً واتِّساعاً على مستوى السُّورتَيْنِ، ولعلَّ أقدر من يملك تلك الآليات والأدوات هو لسانيات النَّصِّ بما انتهت إليه من قضايا ومقولات، وبما استوت عليه أدواتها من قدرة على متابعة مثل هذه المستويات من التَّحليل والدِّراسة.

تتنصب لسانيات النَّصِّ بإجراءاتها وأدواتها ومعاييرها أحدَ أكثر العلوم اللِّسانية ملاءمةً لدراسة المدوَّات العربيَّة، فبعد اكتفاء العلوم العربيَّة الأولى بالدِّراسة الوافية للمكوَّات العربيَّة من مفردات وتراكيب؛ تحلُّ لسانيات النَّصِّ متجاوزة هذه المستويات، ومتحوِّلة إلى الاشتغال على تلك الرُّوابط التي تتجاوزُ الجملة العربيَّة في مختلف أنماطها. ومع الاشتغال على اتِّساق النُّصوص وانسجامها، باعتماد مخرجات الدِّراسات الموضوعية كالنَّحو والصَّرف وعلوم البلاغة؛ فإنَّ مباحث كالإحالة والوصل والفصل والتَّكرار والاستبدال صار لها حضورها وإسهامها في فتح آفاق الدَّرس اللُّغويِّ العربيِّ.

ولعلَّ من أكثر مخرجات الدَّرس اللِّساني الحديث حضوراً في البحوث والدراسات العربيَّة هي تطبيقاتُ مقولات لسانيات النَّصِّ على المدوَّات العربيَّة حضوراً في أدبيات الدَّرس اللِّساني العربي الحديث والمعاصر هي الاتِّساق والانسجام، إذ بهما يتحقَّق تماسُّك أجزاء النَّصِّ على نحوٍ يُنتج وَحدةً دلالية متكاملة. فالإتساق معيارٌ لساني يشغل على المستوى الشَّكلي عبر الرُّوابط اللَّفظية كالتَّكرار والإحالة بينما يُعنى الانسجام بالمستوى الدَّلالي والدَّادُولي الذي يوجِّه فهم النَّصِّ ويمنحه بعداً معنويّاً عميقاً. ومن ثَمَّ، فإنَّ استحضار أدوات اللِّسانيات النَّصِّية سيكون مدخلاً ضرورياً للكشف عن وجوه التَّناسُبِ التي

أسس لها الفصل الأول، ويقارب الفصل الثاني استكمالها حيث تتآزر الآليات اللسانية في بناء علاقات نصية تبرز وحدة الموضوع وتكامل مقاصده.

1- الاتساق (Cohesion): وهو آلية من الآليات النصية التي تشغل على رصد علاقة الترابط بين أجزاء النص، وهو في حقيقته "التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لنص/خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من الخطاب أو خطاب برُمته¹ فالإتساق هو الترابط النحوي والمعجمي الذي يربط أجزاء النص حتى تبدو متلاحمة، فيتحوّل النص معها إلى بنية لغوية متكاملة تحقّق الانتقال المنطقي المتسلسل بين أجزاءه.

والحقيقة أنّ المرحلة الأولى من هذا التماسك قد أمنتها المظاهر اللغوية التي سبق استعراضها في الفصل الأول، وسيبقى على أدوات هذا الفصل تحقيق المستوى الثاني منها، وستتكلّف آلية الإحالة بمتابعة ذلك على مستوى سورتي الفرقان والملك.

1-1- الإحالة وإثبات طبيعة العلاقة بين السورتين: الإحالة من أهمّ أدوات السبك وتُعرف "بأنّها العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها"² فالإحالة عملية ربط بين الجمل وأجزاء النص، وبين النصوص أيضاً، فيكون المحيل فيها غامضاً مبهماً وغير مكتفٍ بذاته في إقامة المعنى، فيحتاج إلى عنصر سابق له أو لاحق لشرح معناه ويظهر دلالاته، وتقع الإحالة على قسمين:

إحالة نصية أو داخلية: ويكون المحيل إليه عنصراً لغوياً داخل النص يسهم في بناء الترابط النصي وإتساق أجزائه فتكسب النص نصيته، وتكون على حالتين: قبلية إذا أحالت على سابق، وبعدية إذا أحالت على لاحق.

¹ - محمّد خطّاب، لسانيات النصّ؛ مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، لبنان، 1991م، ص5 .

² - المرجع نفسه، ص17

إحالة مقامية أو خارجية: ويكون العنصر المبهم فيها داخل النص، ويُحيل على مُحالٍ عليه خارج النص، فتربط النص بالسياق الخارجي له، بحيث تتوقف معرفة المحيل عليه عبر الظروف الخارجية لإنتاج النص، وتُدْمِجُه مع السياق، فيصبح النص بذلك متسقاً مرتبطاً بمقامه، ويُفهم من خلال ذلك.

1-1-1- الإحالة النصية وأدواتها في إثبات العلاقات بين السورتين: تعدُّ الإحالة من أهم آليات

الاتساق في لسانيات النص، فهي التي تكشف نصية النص، وتضمن استمرار دلالاته واتِّحادَ مكوناته عبر شبكة العلاقات المرجعية المنظَّمة، وتتحقَّقُ الإحالةُ عبر أدوات لغوية، منها الضمائر بأنواعها وأسماء الإشارة والموصولة بأشكالها، إذ لا يقتصر عملها على الربط الشكلي فقط؛ بل تُسهم في بيان المعنى وتوجيهه، وبناء تماسك داخلي عميق للنص.

وانطلاقاً من هذا يُعدُّ الكشفُ عن الإحالة النصية في سورتي الفرقان والملك، وتحليل أجزائها ذا أهمية خاصة في توضيح التكامل الوظيفي والاستمرار الدلالي؛ وبتتبُّع عناصر الإحالة في السورتين وبيان كيفية اشتغالها داخل البنية النصية، وكيف رُبِطت سورة الملك بسورة الفرقان من خلال تحقيق التناصب الموضوعي.

1-1-1-1- الإحالة بالضمير: يعدُّ الضمير من العناصر اللغوية المبهمة أو هي "الكلمات ليس

لها معنى تان في ذاتها، ولتحديد معناها المقصود يجب أن تحيل إلى كلمات أخرى. مثل: (هو - نحن)¹ كما يعدُّ من أبرز أدوات الإحالة التي تُسهم في تماسك النص وبنائه، وتنقسم الضمائر بدورها إلى ضمائر متصلة وضمائر منفصلة، كما نجدها قد تكرَّرت في السورتين؛ فتكرَّر واو الجماعة وتكرَّرت (هم) للغائبين دلالةً على الكافرين، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ﴾ وقال: ﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ وقال: ﴿كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ وقال: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ وقال: ﴿يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾؛ فقد أحال الضمير المتصل -الواو وهم- على مُحالٍ عليه سابقٍ وهم الكافرون الذين كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ واستهزأوا بالقرآن

¹ -عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص 119.

وبالنبي ﷺ وفي ذلك إحالة قبلية على سابق، فقد ذكر المحال عليه في الآية ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ثم تتابع تكرار ضمير الجمع العائد على الكافرين غالبا، فثبت حضور ذكرهم وصاروا محورا دلاليا يدور علي أحد مقاصد السورة، تعرض لهم بالندارة لما فعلوه للنبي ﷺ.

ولم يقتصر دور الضمير على منع التكرار وبناء تماسك نصي فقط؛ بل حقق استمرار الدلالة وإبقاء المتلقي في سياق موضوعي واحد، وهو ما تظهره المواضع النحوية التي ورد فيها الضمير، فجاء فاعلا في نحو: (قالوا) وورد مفعولا به في نحو (رأتهم) وغير ذلك من المواضع، مما يوضح حضوره البنيوي داخل التركيب.

يستمر النظام الإحالي نفسه في سورة الملك بالاستناد على المرجع نفسه، ويتضح ذلك من خلال الضمير المتصل (الواو) في مثل: ﴿إِذَا أُلْقُوا﴾ ﴿سَمِعُوا﴾ ﴿فَاعترفوا﴾ والضمير (هم) في مثل: (فوقهم) (بذنبهم) وكلاهما يعود على الكافرين بإحالة قبلية أيضا، فقد أحات الضمائر ذاتها على الفئة نفسها ولكن ضمن سياق مختلف، إذ انتقل من حالة إنكارهم الجماعي إلى كشف مآلات أفعالهم واعترافاتهم وندمهم.

ومن اللافت أن (الواو) المتصل و(هم) للغائب قد أحالا على فئة واحدة في السورتين، وهم الكافرون المكذبون بالساعة المنكرون للرسول ﷺ وما جاء به، وهذا ما أنتج استمرارية مرجعية عابرة للنصوص، فقد حافظ الضمير المكرر على مرجع ثابت (الإحالة الثابتة) رغم تغير السياق، وهو ما أنشأ تماسكا وانسجاما دلاليا، وأنجز وحدة موضوعية بين السورتين، ورعى نظام الانتقال من الإنكار والاستهزاء إلى الجزاء والاعتراف والندم.

وورد تكرار الضمير المتصل للمؤنث في سورة الفرقان ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ وفي الآية نفسها ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾ و ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا﴾، فتاء التانيث في (رأتهم) والهاء في (لها، منها) ضمائر متصلة تعود على جهنم فهي إحالة بعدية. فقد ذكرت مفردة (جهنم) بعد الإقرار بأفعال الكافرين وهم ﴿يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾

أي أن الضمائر أحييت على لاحق. وتبرز الإحالة القبلية للمرجع ذاته في مثل: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾ و ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ﴾ إذ تحيل الهاء وتاء التأنيث على (جهنم) بإحالة إلى سابق، إذ لمّا ذكرت كلمة (جهنم) في الآية الخامسة والسّتين؛ وردت هذه الضمائر لتفادي التكرار داخل البنى التركيبية، لكنّ هذا التكرار كان أبرز في حضورها، وأقوى فعالية في بيان المقصد العام لمرافقة مرجع سابق -الكافرون- فصارا كالمتلازمين وهو ما منح الخطاب بُعداً تصويرياً حياً لوقائع الكافرين.

لقد كشف هذا الضمير عن التناسب الإحالي بين السورتين، فظهر جلياً في سورة الملك ﴿فِيهَا سَمِعُوا لَهَا﴾ وأيضاً ﴿أَلْقَى فِيهَا﴾ فالضمير المنّصل (الهاء) أحوال على (جهنم) قبلها، إذ ذكرت كلمة (جهنم) في الآية السادسة: ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾؛ فكان تكرار (الهاء) في السورتين إحالة على المرجع ذاته، وهو (جهنم) غالباً. إلا ما استثنى في سورة الفرقان حين أحييت (الهاء) على (الجنة) ﴿أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾. أمّا التوافق الإحالي لـ (الهاء) بين السورتين فعائدٌ على (جهنم) محوّلاً إياها مرجعاً أساسياً، ومحققاً توازياً إحالياً بين السورتين.

ولم يتوقف الأمر عند هذا التوازي بل تخطّاه لأداء وظيفة دلالية حجاجية، إذ صار عود الضمير على (جهنم) بؤرة ثبتت في الذهن، ورسخت صورتها فيه بوصفها مصيراً محتوماً للكافرين، وفي ذلك حُججٌ ترهيبيةٌ لهم في بيان مصيرهم. كما أسهم هذا التكرار في تقريب قوّة عذابها من خلال صفاتها المصاحبة (تغيظاً، زفيراً، شهيقاً، فوران...) وهذا بدوره يعزّز استمرار الدلالة، ويحقّق التماسك النصّي بربط المقاطع الوصفية العائدة على المرجع نفسه. وإبراز التناسب الموضوعي من خلال إحالة ضمير الجمع العائد على الكافرين، والهاء على جهنم، فيكتمل المشهد بالاستمرار الدلالي بين السورتين، الذي حقّقه من خلال التناسب الإحالي الثابت المرجع.

أمّا بالنسبة للنوع الثاني من الضمائر، وهي الضمائر المنفصلة التي وردت بصيغة المفرد الغائب وشواهدُه من السورتين: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَّ﴾ من الفرقان، وهو إحالة

مقامية على الذات الإلهية العلية، وإحالة قبلية حيث ذكرت كلمة (الله) في الآيات السابقة، وتكرّر هذا الضمير بإحالة ثابتة على الله تعالى بوصفه محورا دلاليا ارتبطت به العناصر الخطابية.

وورد الضمير نفسه للمرجع ذاته في سورة الملك ويتّضح في مثل: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَزِيزٌ﴾ وفي ذلك تعزيز للبعد التوحيدي في الخطاب القرآني، ويسهم تكراره في بناء سلسلة إحالية تربط الأفعال الكونية بالمُحيل الثابت وهو الله تعالى وحده، فينتج عنه تماسك دلالي قائم على تثبيت فعل الخلق وتدبير الكون، وتشير إلى مرجع واحد لا غير وهو الله تعالى.

تؤدي الإحالة بالضمير (هو) إلى الله تعالى وظيفة حاجية وتداولية تتمثل في إثبات وحدانية الله وقدرته وبيان عظّمته وجبروته، وفي ذلك أدلة عقلية تدعو الكافرين للتأمل في خلق الله وإبداعه في الكون، وهذا ما يطلق عليه (الوحدة المرجعية العليا) وهي مطردة في السورتين بمعنى: ثبات المرجع لسياقات متنوعة. وهذا ما يبرز التناسب الموضوعي بين السورتين في تقرير الألوهية، وتثبيت دلائل العظمة الإلهية في مواجهة الكافرين.

1-1-2- الإحالة بأسماء الإشارة: تُعدّ أسماء الإشارة من أدوات الإحالة النصّية ذات الطّاقة

الاختزالية العالية، فتُسهّم في توجيه المرجع وتكثيف الدّالة، وهذا في مثل: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: 41] إذ يحيل اسم الإشارة (هذا) إلى الرسول ﷺ في إحالة بعدية. فمفردة (الرسول) ذكرت بعد اسم الإشارة (هذا) وجاء في سياق استفهام إنكاري تهكمي وارد عن المكذّبين المستهزئين بالنبي ﷺ وقد أنكروا ما بُعث به واعتبروه بشرا لا يستحقّ رسالة الله وقد جاء اسم الإشارة اختزالا يختصر شخصية الرسول ﷺ في إشارة حسّية تصوّره بشرا لا خصوصية له، ويستبعدون مقامه الرفيع، وتعبرهم بـ (هذا) -وهو اسم إشارة للقريب- يعكس دلالة التّحقير والاستخفاف والإنكار.

ويرد اسم الإشارة نفسه في سورة الملك: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الملك: 25] عائداً على الوعد الذي قطعه الله على المكذبين وهو عذاب السعير في إحالة بعدية، في صيغة استفهام إنكاري ينكر فيه الكفار العذاب الموعود. وفي إنكارهم للرسل ﷺ واستخفافهم به في الفرقان؛ مع استعلانهم وإنكارهم الوعد من الله، يوظف الكفار اسم الإشارة (هذا) في سياق تداولي قوامه الاستخفاف والاحتقار والاستهزاء.

ومن جنس التوظيف يرُد اسم الإشارة (هذا) في آية أخرى من سورة الملك: ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ [الملك: 27] في أسلوب تقريرٍ توبيخيٍّ يحمل تصويرَ نتيجة استهزاء الكفار بالنبي ﷺ والوعد فمثلاً استهزأوا بهما في الدنيا واستخفوا؛ استخفَّ خزنة جهنم بهم ووَبَّخُوا وهم يُلْقُونَ في النار، إذ تحوّلت وظيفة الإحالة من بُعد إنكاري استهزائي إلى بُعد إقراضي ثابت بالمعينة.

ورغم اختلاف الوظيفة التداولية إلا أنَّ السياق ورد مكملاً لبعضه، أي أنَّ السياق الذي ورد فيه اسم الإشارة (هذا) في الملك جاء مكملاً لسياق سورة الفرقان، ممَّا أدَّى إلى توازي البنية الإشارية وهذا ما يدخل تحت "عمل روابط السبك بصورة تكاملية، بحيث تشكل مجتمعة وحدة واحدة"¹، فأنَّج تكاملاً دلالياً يدور حول الاستخفاف بالنبي ﷺ والوعد بالآخرة، لتبرز نتيجة هذا الاستخفاف في عذاب جهنم؛ فجاءت سورة الملك مكملة للحديث عن احتقار الكافرين الذي لم يتوقف عند النبي ﷺ بل تجاوزه إلى الاستخفاف بالساعة والمصير، ثمَّ بيَّنت نتيجة ذلك كله؛ وهذا ما شكّل تدرجاً تداولياً بدايته الاستبعاد والتَّهْكُم ونهايته الإقرار والاعتراف؛ فأدَّى اسم الإشارة (هذا) في الآيات المذكورة بعداً تداولياً ووحدةً إشاريةً واحدةً، وتعزَّز الاتِّساق النَّصِّي، ووجَّه التأويل وصور حقائق الكافرين الدُّنيوية والأخروية وأسهم في بناء تناصبٍ موضوعيٍّ بين السورتين.

¹ - حسام أحمد فرج، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، ط1، مكتبة الآداب، مصر، 2007م، ص81.

1-1-1-3- الإحالة بالأسماء الموصولة: ويتجلى التناصب الإحالي من خلال الأسماء الموصولة

أيضا بوصفها أداة إحالية ذات قدرة اختزالية ودلالية عالية، من مثل: ﴿الَّذِي نَزَّلَ﴾ و ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ﴾ و ﴿الَّذِي يَعْلَمُ﴾ وهي إحالة مقامية خارجية تحيل على الله تعالى، إذ يحمل الاسم (الذي) قيمة دلالية وتداولية تعود على التعظيم والتفخيم، وارتبط بأفعال تعظيمية مطلقة صادرة منه تعالى وحده.

وعلى النسق ذاته يرد الاسم الموصول (الذي) في الملك في مثل: ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ من الآية الأولى: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ من الثانية، وقد تكررت البنية ذاتها، مشيرة إلى إحالة مقامية عالية، هي الذات الإلهية بمركزية الخطاب. والإحالة في السورتين تعظيمية، أحالت على مرجع واحد ثابت، رغم تنوع الأفعال الصادرة منه تعالى وارتباطها به ليقوم إثر ذلك استمرار مرجعي عال بين السورتين، فينتظم الخطاب التداولي ويوحد المقصد الرئيسي منهما.

ومن اللافت في هذا السياق ورود تركيب جمع الاسم الموصول (الذي) بالضمير المنفصل (هو) (هو الذي) في السورتين، عاكسا وجود بنية إحالية تعظيمية مركبة. فمن سورة الفرقان: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ﴾ و ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ﴾ فيحيل الضمير (هو) إحالة مقامية صريحة على الله تعالى، ثم يرد الاسم الموصول (الذي) مثبتا لها عبر إسناد الأفعال والصفات إلى الله وحده.

ويتردد الأمر نفسه في سورة الملك: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ﴾ وكذلك: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ و ﴿هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ كاشفا عن ازدواجية إحالية في السورتين ناجمة عن تدرج إحالي تعين فيه المرجع العام عبر الضمير (هو) ضمن استمرار مرجعي، يتبع ذلك تحديدا تفصيلي يعينه الاسم الموصول (الذي) ضمن توسعا دلاليا يثبت الأفعال المقترنة بهذا الازدواج الإحالي على الذات الإلهية الكريمة فقط، فيتوحد مصدر الأفعال الخلقية والكونية والتشريعية في كلا السورتين، وهو ما يعزز بناء المرجع الثابت داخلهما.

وفي ذلك وظيفة دلالية تداولية واحدة تسعى لإثبات وحدانية الله تعالى وقدرته وملكوته، إذ تتجسد في وظيفة حاجية تسعى لطمأنة الرسول ﷺ والمؤمنين، وتوجيه حجج عقلية للكفار "فصارت الصلة معلومة بحسب الدليل وإنما كانوا منكرين لذلك"¹ وفيه يظهر التناصب الإحالي بين سورتي الفرقان والملك من خلال استعمال التركيب الإحالي ذاته الذي يشير إلى مرجع واحد ثابت في كلتا السورتين، مما يوضح توافقهما في وحدة المقصد.

وظهر الاسم الموصول (الذي) بصيغة أخرى ومرجع وسياق آخرين إذ ورد بلفظة (الذين) وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقوله جلّ جلاله: ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ حيث أحال على محالٍ عليه سابق في إحالة مقالية ومرجع واحد وفئة محددة تتصف بسمات مشتركة كالتكذيب والكفر.

وتكرر الاسم الموصول (الذين) في سياق واحد هو وصف مواقف المكذّبين وأفعالهم، حيث عمل على تجميع أعمال المشركين وصفاتهم في بنية تركيبية واحدة مما أدى إلى بناء مشهد دلالي متكامل بطله هذه الفئة؛ وقد أحالت الأداة نفسها على المصدر نفسه في قوله تعالى من سورة الملك: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وفيهما اكتمل عرض مآل هذه الفئة.

لقد اختزلت وظيفة الاسم الموصول (الذين) تعيين الكافرين بصفاتهم، وميّزت فئة كاملة في وحدة لغوية واحدة، ثم فصلت أعمالهم وصفاتهم عبر صلة الموصول. كما أنّ تكرار هذا العنصر في السورتين مع ثبات المرجع يعزّز التناصب الموضوعي بينهما ببناء شبكة إحالية رصدت استمرارا مرجعيا وداليا قائما، فتتبع سورة الفرقان أعمال الكفار وأقوالهم، ثم بينت سورة الملك مصيرهم بتوظيف العنصر الإحالي ذاته والمرجع المحال به.

¹ - محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج 6، ص 440.

واستُخدم العنصر اللغوي (الذين) في السورتين في الدلالة على المكذبين من الأقوام الأولى، وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ من سورة الفرقان، وفي سورة الملك في ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ﴾ إذ أحال العنصر نفسه على الفئة نفسها الذين كفروا وكذبوا الرُّسل، ولكن في سياق زمنيٍّ سابق، فقد عاد الزمن بكفار قريش إلى فعل السابقين الذين كذبوا الرُّسل، وعوقبوا في الدنيا وسيعاقبون في الآخرة، وجاء عرض هذا المشهد بالألفاظ نفسها المحالة والعنصر المُحيل، حتَّى تكون الحجج واقعية مصوّرة أعمال السابقين. وفي عرضها مع مصائر أصحابها درسٌ عمليٌّ بليغ وإنذار لكفار مكّة لردّهم عن عنادهم واستكبارهم وتذكيرٌ لهم بمصيرهم، فالجزاء على قدر العمل.

ويفضي تتبّع الإحالة في سورتي الفرقان والملك إلى إبراز شبكةٍ إحاليةٍ متماسكة تقوم على مجموعة من العلاقات المرجعية التي عكست الاتساق النصّي، وبيّنت الانسجام الدلاليّ لأنّ "الإحالات الضميرية التي تجلت في ظاهر النص، قد ساهمت في ربط أول نسيج في للنص المقامي بآخره ربطاً أفقياً، وكشفت عن الدلالة العامة الكلية لموضوعه"¹، فقد أبانت أدوات الإحالة -ضماير، أسماء إشارة، أسماء موصولة- عن قدرة عالية في تثبيت المرجع وضبطه، ممّا أنتج استمراراً مرجعياً واكب الخطاب، ورصد أحداثه، فعرض مواقف الكافرين، وقرّر نتائج أفعالهم الدنيوية، وبيان مآلاتهم الأخروية، كما حقّقت العناصر الإحالية اقتصاداً لغوياً قائماً على التّكثيف والاختزال، مع وضوحٍ مرجعيٍّ ثابتٍ، و بناء كفاءة نصّية تواصلية مثالية.

فالإحالة آلية لغوية تقوم على الرّبط الشكليّ بين عناصر النصّ، يبرز من خلالها التّتبّع اللغويّ بمنع التّكرار المخلّ بالمعنى، وأدّت دوراً تداولياً حجاجياً تعيّن به البؤرة الدلالية للنّص ووجّهت مسالك التّأويل، وثبّتت النّواة المرجعية للمقصد بالإشارة المستمرة للمحور المركزيّ في السورتين، كما أسهمت

¹ - ليندة قياس، لسانيات النصّ النظرية والتّطبيق مقامات الهمداني نموذج، ط1، مكتبة الآداب، مصر، 2009م، ص109.

في إبراز التَّوازي الإحاليَّ بينهما وما حَقَّقَهُ من تكامل نصِّيِّ تجاوزَ حدود السُّورة إلى مكمِّلَتِها، فقد كانت كلُّ سورة توظِّف الإحالة آليَّة بصورة مستقلة، ثم تنفتحُ على السُّورة الأخرى بارتباط إحاليٍّ أوسع، فيكون ذلك التَّعالُق الإحاليُّ الوظيفيُّ للعناصر جزءاً من بناء المقصد العام للسُّورتَيْن، جاعلاً من سورة الملك امتداداً دلالياً لسورة الفرقان.

وقد كشفت هذه العناصر الإحالية عن انسجامٍ عميقٍ مثَّلته وَحْدَةُ المرجع المُحال في السُّورتَيْن عبر مسارٍ واحدٍ ممتدٍّ بينهما، واستواء دلاليٍّ بينهما؛ إذ عرضت سورة الفرقان مواقف اعتداءات الكافرين في مواجهة الرُّسول ﷺ والرِّسالة، وأظهرت حقيقتهم، ثم أكملت سورة الملك نتائج ذلك كُلِّه، وهذا ما يقصد بالامتداد الدلالي، حيث تنشأ المعاني في سورة الفرقان وتكتمل في سورة الملك ضمن شبكة إحالية واحدة منتظمة.

1-2- الاتِّساق المعجميُّ: يختصُّ الاتِّساق المعجميُّ بمتابعة المفردات للرَّبط بين أجزاء النَّصِّ،

ويتحقِّق من خلال أداتَيْن، سيتطرَّقُ البحثُ إلى أبرز مظاهرها في السُّورتَيْن، وطريقتهما في بناء التَّناسُب:

1-2-1- التَّكرار: هو "شكل من أشكال الاتِّساق المعجميِّ، يتطلَّب إعادة عنصرٍ معجميٍّ أو

مرادفٍ له أو شبه مرادفٍ أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عاماً"¹ ويمثِّل العلاقة بين العناصر اللُّغويَّة، إذ يقوم على إعادة عنصرٍ لغويٍّ كلمةً كان أو عبارةً، أو إعادته بمرادفٍ له أو شبه مرادفٍ أو لفظٍ عامٍ يشملُه ويتَّضح دوره في أنَّ "التَّكرير يُحقِّق العلاقات المتبادلة بين العناصر المكوِّنة عند طريق امتدادِ العنصر المكرَّر عبره، ورصد تَتبُّعه، ... ويساعد على فكِّ شفرة النَّصِّ وإدراك كيفية أدائه لدلالته"² فيحقِّق التَّرابُط

¹ - محمد خطاب، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، ص24

² - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللُّغة النَّصِّيِّ بين النَّظريِّ والتَّطبيقيِّ، ج2، ص22.

بين أجزاء النص عن طريق العلاقات التي تربط بين المفردات المكررة، كما يساعد على فهم الدلالات العميقة للنص، فتستوي وحدة الموضوع.

1-1-2-1- التكرار الصوتي وأثره في حدوث المعنى: يُعد التكرار الصوتي أحد أبرز مظاهر

التناسب اللغوي في النص القرآني، ويظهر من خلال إعادة بعض الحروف أو المقاطع، مما يساعد على خلق إيقاع متناغم يُعزز أثر المعنى في نفس المتلقي، ولا يأتي هذا التكرار عشوائياً أو اعتباطياً بل يرتبط بسياق الآيات ومقاصدها، فيؤدي دوراً جمالياً ودلالياً في الآن نفسه، لذا فإن الوقوف على التكرار الصوتي يساعد على إدراك الجانب الحيوي من الانسجام الصوتي، وفهم العلاقات العميقة بين الإيقاع والمعنى.

لقد كان تكرار الحروف أمراً واضحاً في السورتين، وأكثر الحروف تكراراً فيهما هو حرف الراء الذي ورد بكثرة في نهاية الآيات، وقد تكرر في سورة الفرقان ثلاثاً وأربعين (43) مرة، وهذا العدد لا يشمل تكرار بداية ووسط الآيات نحو: تبارك، الفرقان، ضراً، السر، الأرض... وغيرها؛ بل هو إحصاء لوروده حرفاً أخيراً للآيات؛ وذلك نظراً لأهميته في تأدية المعنى المراد، إذ نجده شمل مختلف سياقات الآية ومقاصدها، فحضر في إنذار المشركين ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوَةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: 3] وبرز في طمأننة الرسول ﷺ والمؤمنين: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: 10]، واتضح كذلك في بيان قدرة الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا 61 وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: 61-62] فحرف الراء صوتٌ لثويٌّ تكراريٌّ و "المكرر وهو حرفٌ شديدٌ يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام"¹ وهو أيضاً حرف مجهور ومنفتح.

¹ - عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ص 435.

وتميّزت هذه السورة به كونها وضحت مصير الكفار وجهرت به، وتشددت مع استهزاءهم وعنادهم وكرّرت أعمالهم وما سيلقونه بعد موتهم، وانفتحت بالطمأنينة للنبي ﷺ وللمؤمنين بمصيرهم، ووضحت لهم ذلك بوضوح مسمع الرّاء وبلوغه الأذن، فدلّت الرّاء على التّكرار وديمومة الحدث، ويبقى مصير الكافرين نار جهنّم ويبقى مصير المؤمنون جنّة النّعيم.

وأما تكرار حرف الرّاء في سورة الملك فبلغ إحدى وعشرين (21) مرّة، علماً أنّ آيات سورة الملك ثلاثون (30) آية، ممّا يوضّح درجة تكرار الرّاء بدلالته ومعناه العميق في الآيات، وأدّت خصائصه - التّكرار والجهر والشّدة والانفتاح - إلى توافقه مع مقصد السّورة، حيث تناولت عظمة الخالق وقدرته؛ ولهذا جاءت الرّاء لبيان قوّة الله والجهر بعظمته والانفتاح بالتأمّل والتّدبر في آياته وخلقه، ثمّ جهرت بمصير الكافرين وحذّرتهم من عذاب جهنّم. وبما أنّ المواضيع قويّة وشديدة تحتاج لحروف جهرية وشديدة لتبرز المعنى ولا تحتاج للحروف اللّينة لأنّها تميل إلى السّكينة فيضعف المعنى، وهذا ما يُظهر إعجاز القرآن في دقّة اختيار الأصوات بناء على المعنى المراد؛ لذا كان الجهر في الأصوات ملّمّاً مهمّاً من ملامح القوّة في هذه السّورة، وعلى التّحديد في نهاية الآيات. لأنّ الوقف عليها يكون أكثر وضوحاً في المسمع وأكثر تأثيراً في السّامع؛ وما نلاحظه أنّ تكرار حرف الرّاء في السّورتين كان لخدمة المقصد العام لها حيث ورد بنفس الصّفات والمميّزات سواء بالجهر والتّكرار أو بالانفتاح والشّدة، أي حافظ على خصائصه في خدمة الموضوع ممّا زاد من إبراز التناسب بين السّورتين.

أما الحرف الثاني الذي تكرر في سورة الفرقان دون سورة الملك، فهو حرف اللّام، ونجده أيضاً في أواخر الآيات وورد سبع عشرة (17) مرّة، نمثّل له من خلال قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ ﴿مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ ﴿لَا نَسْنِ خَدُولًا﴾ وهو الأمر الذي يعمل به في بقية المواقف، وقد تعدّدت المقاصد التي ذُكر فيها بين استهزاء الكافرين وبيان مصيرهم، وبين نكر

الله بوعده وبين طمأنة المؤمنين، وهو حرف قريب من حرف الراء في الحيز والصفة، فهو حرف لثوي مجهور ومنفتح، وأضعف من الراء، فناسب كثرة وجوده كثرة دلالة الشدة والقوة في مقاصد السورة.

وورد حرف الميم خمس عشرة (15) مرة في سورة الفرقان، كما في الشواهد: ﴿قَالُوا سَلَامٌ﴾ ﴿كَانَ عَرَامًا﴾ ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ وورد في الملك مرتين: ﴿صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وهو حرف شفوي مهموس منفتح، وجعلت صفة الهمس منه حرفا يميل إلى العطف والرحمة واللطف، حيث ورد في ذكر صفات عباد الرحمن مسهما في خفض شدة الراء وجهرها، فظهرت الراء مناسبة في مواجهة الكافرين، والميم ومرافقة عباد الله الصالحين.

وأما في سورة الملك فحضرت الميم لبيان رحمة الله وشفقة الرسول ﷺ على الكافرين مما ينتظرهم من العذاب.

أما حرف النون فورد في سورة الملك أكثر من سورة الفرقان حيث بلغ تكراره في الأولى سبع (07) مرات، وفي الثانية مرتين مجاورا لحرف الميم، ليذل على الإظهار بعد الهمس، وذكر عند تحذير المؤمنين من عذاب جهنم الذي أعد لمن عصى الله تعالى وخالف أمره وهجر القرآن وآياته، وهو "حرف شديد يجري معه الصوت لأن ذلك الصوت غنة من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت. وهو النون¹ وكونه صوت رنان لثوي مجهور منفتح مائع، ذو وضوح سمعي لكنه أقل شدة من الراء، فاستعمل الراء بقساوته لإنذار الكافرين، واختيرت النون الأضعف لتحذير المؤمنين، مما يبرز رحمة الله تعالى وعطفه بعباده الصالحين، ليبين أن عذاب الكافرين أشد.

أما النون في سورة الملك فورد في الآيات العشر (10) الأخيرة فقط، ليتوازن الإيقاع الصوتي في السورة بين شدة الراء وتكرارها، في بيان مصير الكافرين، وعظمة الله وقوته، وبين سكينه النون وطبعه

¹ - عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ص435.

الرَّئَان الذي يبعث الطُّمأنينة في نفوس المؤمنين، واستعمل بجهره ليدكرهم بما في القيامة من ترهيب للكافرين وترغيب الصالحين.

لقد كانت الحروف المكررة متقاربة المخارج ضمن حيِّز الحروف اللثوية، واختلفت شدتها باختلاف صفاتها واتِّفاقها في الانفتاح، ممَّا أظهر تناسُّبا في التكرار الصوتي، ولو على مستوى الحرف الأخير. بدا الانسجام الصوتي على هذا المستوى مكوِّنا نصِّيا أسهم في بناء الإيقاع الصوتي العام للنص وربط أجزائه فشكَّل تآزرُ الأصوات المكررة شبكةً من العلاقات الصوتية والسمعية، أسند لها دورُ بناء المقصد وتدعيم وَحدة الموضوع، فعملت على توجيه المتلقِّي؛ وبرز الإيقاع الصوتي أكثر مع تكرار الحروف في بناء التَّنغيم الصوتي (Prosody) الذي وجَّه المعنى وربَّطه بالسياق العام للسُّورتَيْن، إذ مالت آيات الوعيد إلى الحروف المجهورة القويَّة الواضحة الحادَّة على المسمع كالرَّاء المكررة والثُّون الرَّنانة، واتَّسمت آياتُ السَّكينة والتَّأمُّل بنغمة أكثر ليونة ولطافة على المسمع كحرف الميم المهموسة وهذا تكرار صوتيٍّ وظيفيٍّ حقَّق انسجاما تداوليا وصل البنية اللُّغوية بسياقها المقامي.

وبناء على ما سبق، يظهر التَّناسُب الصوتي بين السُّورتَيْن في شكل انسجامٍ كليٍّ من خلال تكامل البنية الصوتية والتَّشابه الإيقاعي، مما يعكس وَحدة الموضوع، فإيقاع الفرقان أنذر المكذِّبين ومهد لهم بحجج، وأثار تفكيرهم، ثم جاءت الملك لتؤكد نتائج أعمالهم، وعنادهم وترسخها في النفوس، ومن ثمَّ يظهر التَّناسُب الموضوعيُّ بناء على التَّلَاقِي الصوتي الذي سخر للمتلقِّي سياقاً واضحاً جعله يعيش تجربة سمعية متكاملة.

1-2-1-2- التكرار اللفظي ودوره في بيان المعنى: سيعرض هذا العنصر ما تكرر من الألفاظ

بصيغٍ متشابهة في السُّورتَيْن، وما خدم السِّياق ذاته، واتَّفقت فيه تكرارها فيهما.

• **لفظة (أعتدنا):** وردت هذه المفردة في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾

[الفرقان:11] مبيِّنة أنَّ الله تعالى جهَّز للكافرين والمكذِّبين بالسَّاعة نار جهنَّم، لو استمروا في تكذيبهم،

ووردت اللفظة نفسها في ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: 37] تعقبا على مصير المكذبين من الأمم السابقة وحضرت اللفظة ذاتها في سورة الملك وفي السياق نفسه ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك: 5] محققة الوعد ببيان مصير الكافرين في نار جهنم، فحملت في الفرقان التذير والتحذير للمعاندین، ثم التذكير بما أعدّه للسابقين قبلهم تمثيلا، فقابلوا بالإصرار، فجاءت المفردة ذاتها في الملك تظهر نفاذ الوعيد.

لقد وردت جذور لغوية عدة بصيغ مختلفة، وتكررت في السورتين معا؛ لكن التطرق لتوارد مفردة بعينها في السورتين وبسياق متعلق؛ سيحيل على طبيعة المقصد، وكيف خدم تكرار هذه المفردة السياق العام، إذ تجاوز معناها المفرد، ومعناها في الآية ليصبح لها معنى نصيا في مستواه الأول على مستوى السورة في المرحلة الأولى وعلى مستوى السورتين في المرحلة الثانية.

• **صفة النذارة:** يظهر تكرار هذه المفردة واضحا، فوردت صفة (نذير) أربع (04) مرات في كلا السورتين ففي سورة الفرقان نجدها في قوله تعالى: ﴿لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1] وقوله: ﴿فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ وقوله: ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 51] وقوله: ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفرقان: 56] فالنذارة في الأولى لغرض تنزيل القرآن، والنذارة في الثانية للمستهزئين من الكافرين ببشرية الرسول ﷺ وسيقت النذارة في الثالثة وظيفة من وظائف الرسول ﷺ بدعوى المكذبين من قريش، والنذارة في الأخيرة بيان للنبي ﷺ من ربه بأنه مبعوث ليكون مبشرا للمؤمنين بالجنة ونذيرا للكافرين.

وبالصيغة نفسها والعدد ذاته وردت مفردة (نذير) في سورة الملك، فالأولى ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: 8] في سياق تعنيف أهل النار، سؤال توبيخ من خزنتها. ووردت في الثانية ﴿قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾ [الملك: 9] اعترافا من أهل النار، ولم يختلف سياق الثالثة على ما قبلها ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ [الملك: 17] في سياق تحذير الله للكافرين من عذابه بسؤال توبيخي تقريزي، يضعهم أمام مصيرهم بعذاب

لا رحمة فيه؛ ووردت الأخيرة ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الملك: 26] وصفا للنبي ﷺ حين سألوه عن موعد الساعة فبين أنه نذير وعلمها عند الله وحده.

وما يحيل عليه تكرار صفة النذارة بصيغة اسم الفاعل على وزن (فعليل) أن هذه الصيغة وردت اسم فاعل لفعل متعدي. يقول سيبويه: "وقد جاء شيء من هذه الأشياء المتعدية التي هي على فاعل على فعليل"¹ فجاءت: نذير على هذا الوزن للدلالة على ثبوت صفة التحذير والتبليغ ودوامها، وقد أدت تكراره بالصيغة نفسها في السورتين إلى تشكيل اتساق معجمي أسهمت الألفاظ في ربط مضامينهما، فتحقق انسجام تداولي بمقاصد خدمها المصطلح.

• **لفظتا: العتو والنفور:** وهما "مصدران قليلا الاستعمال"² حيث وردتا في سورة الفرقان منفصلتين إذ جاءت لفظه "عتو" ﴿وَعَتَوْا عُنُوتًا كَبِيرًا﴾ و"نفورا" في الآية ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾. أما في سورة الملك فوردت اللفظتان مجتمعتين ﴿لَجُؤًا فِي عُنُوتٍ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: 21] فاستخدمت (عتو) في الفرقان "للدلالة على تجاوز الحد في الظلم"³ أي أن الظالم تجاوز حتى بلغ فيه أقصى حد، وأصل استعمال المفردة في شُرود الحيوان وقت الصيد فوصف القرآن شرود الكفار وبعدهم عن الإيمان بذلك؛ ثم ثبتت سورة الملك أن استكبار الكافرين ونفورهم من الدين لن يدفع عنهم العذاب، وما الله بغافل عما يعملون.

والجامع أن اللفظتين وردتا في السورتين بدلالة واحدة وهي المبالغة في الاستعلاء، والإصرار على الكفر، ورغم أنهما فصلتا في الفرقان، وقرنتا في الملك؛ فإن المعنى فيهما لم يختل "فما جاء منشورا ومبسوطا في مواضع في سورة الفرقان؛ جاء مختصرا مركزا في سورة الملك"⁴

¹ - عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، ج4، ص7.

² - امحمد محمد صافي المستغامي، جواهر الدرر في علم مقارنة السور، ص211.

³ - محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، ص2257.

⁴ - امحمد محمد صافي المستغامي، جواهر الدرر في علم مقارنة السور، ص211.

• **لفظتا: الزفير والشهيق:** ذكرت السورتان المفردتين في سياق واحد، وهما متتابعان علميا، فوردتا بالتتابع ذاته في السورتين، وجاءتا بميزان صرفي واحد: مصدر يفيد المبالغة في الأمر، فتحدثت سورة الفرقان عن المكذبين يوم القيامة، فإذا عاينوا النار وعابنتهم ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: 12] لتتم سورة الملك المشهد ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ [الملك: 7] وهم يلقون فيها. فأظهرت الفرقان مشهد رؤية جهنم للكافرين واستماعهم لزيورها، وأكمل الشطر الثاني من المشهد، فإذا طُرحوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور، فجاءت المفردتان متصاحبتين في النظم القرآني تعاونتا في إخراج مشهد كامل. وتُظهر هذه العظمة في التصوير تناسق سورة الفرقان وسورة الملك، مع أن اللفظتين وردتا مقترنتين بالصيغة والسياق ذاته: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنَ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: 106].

ويختتم هذا العنصر على ما مفاده أن إعادة بعض الألفاظ بالصيغ نفسها والإيقاع ذاته، أسهم في تحقيق الاتساق المعجمي والصوتي، حيث نشأت روابط داخلية وحدت البنية النصية في السورتين، كما أفضى ذلك التكرار إلى انسجام دلالي رسخ المعاني المركزية كالنَّوْحِ والذِّكْرِ في سياقات متكاملة. ومن هنا؛ فإن التكرار الصوتي واللفظي ليس إعادة شكلية مجوجة؛ بل هو آلية لسانية عززت تماسك النص وأبرزت تناسبا موضوعيا لا يخفى بين السورتين.

2- الانسجام (Oherence): وهو أحد معايير النصية الأساس، إذ يرصد استمرارية الدلالة على مستوى المضامين ويتابع مدى ارتباط النص بالسياق الخارجي له، وما يبلغ الدلالات الخفية والعميقة للقارئ، بحيث يسهل عليه تفسيرها. فالانسجام "أو الترابط النصي يعني العلاقات التي تربط معاني الجمل في النص، هذه الروابط تعتمد على المتحدّثين (السياق المحيط بهم)"¹ فهو تلك العلاقات الخفية التي

¹ - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظري والتطبيقي، ج1، ص94.

تثبت منطقية الدلالة في النص، وتسهم في تألف أجزائه، وتماسك أفكاره، وما يربطه بظروف إنتاجه حتى لا يكون نصاً عقيماً.

2-1- أدوات الانسجام: حظي معيار الانسجام في الدراسات النصية باهتمام خاص من قبل علماء اللسان، كونه شبكة من العلاقات لا يخلو منها أي نص، وهو الحافظ لدلالة النص، والمساعد على فهم العلاقات الدلالية بين الجمل فيما بينها، والوصفي على التسلسل المنطقي لأفكار النص وتتابع دلالات الجمل فيه، وفقاً لسياقها ودور المتلقي في تأويلها، لذا تعددت مظاهر الانسجام تبعاً لآراء علماء النص، ومن المتفق عليه عندهم:

2-1-1- السياق (Context): يعد السياق مرجعاً أساساً في قيام البنية النصية، إذ يعمل على اكساب عناصرها اللغوية علاقة خاصة تجعل من النص كلاً موحداً، ويمدّه ببنية دلالية عميقة يسعى دارس النص في كشفها عن طريق السياق سبيلاً لفهم ظاهره وتأويل ما حقه التأويل، فمن أضمن طرق معرفة التماسك النصي، معرفة السياق الذي أخرج فيه النص، والإحاطة بأحوال متلقيه.

والسياق عند علمائنا القدامى (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) لما له من أهمية في تماسك النص وفهمه؛ ووضحه القزويني في قوله: "ومقتضى الحال مختلف، ومقامات الكلام متفاوتة"¹ فطبيعة الأحداث والظروف المرافقة مقتضيات توجه إخراج النص، كما أن للسياق علاقة بتبني المتكلم طريقة كلام معينة وأسلوب حديث خاص.

وقد أولى المحدثون للسياق اهتمامهم، فجعلوه أساساً في تحديد المعاني إذ "إن استعمال صيغ لغوية يُحدّد مجموعة من المعاني وبإمكان المقام أن يساعد على تحديد عدد من المعاني"² فعزل الكلام

¹ - محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، دار الجيل، لبنان، 1993م، ج1، ص41-42.

² - ج. ب. براون و ج. يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، د ط، النشر العلمي المطابع- جامعة الملك سعود، السعودية، 1997م، ص47.

عن السياق ينفتح بالنص على تأويلات كثيرة، منها ما يُراد من الكلام ومنها ما لا يراد، فحاجة النص أو الكلام إلى السياق أو معرفة ظروف إنتاجه قيد موضح ومحدد يقود المتلقي صوب الدلالات المقصودة. وينقسم إلى نوعين:

سياق لغوي (مقالي): يجمع بين المستويات اللغوية للنص، إذ أنّ معنى الكلمة يتحدّد من خلال مجاورتها لكلمات أخرى في التركيب أو السلسلة اللغوية.

سياق غير لغوي (مقامي): وهو جملة الظروف الخارجية المحيطة بإنتاج النص المادّة بالمعنى العميق فالنصّ نتاج إحالة مخصوصة بظروف خارجية .

والتماسك النصّي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياق بنوعيه المقالي والمقامي، ويكشف تنبّعهما داخل النصّ عن وحدة الموضوع، فإنّ معرفة أهميّتهما في بناء السورتين موضوع البحث سبيل إلى إثبات حقيقة التناسب بينهما

2-1-2- السياق الخارجي للسورتين: تعدّد الإحاطة بالسياق العام للسور القرآنية مدخلا أساسا

لفهم بنائها الدلالي ووحدتها الموضوعية، إذ لا تُعرف مقاصد السورة إلاّ من خلال استحضار الإطار العام الذي انتظمت فيه آياتها.

تُبرز كلّ من سورة الفرقان والملك نموذجين مثاليين للتناسب الموضوعي، فتنناغم موضوعاتهما ضمن مُشاكلّة تعكس المقصد العامّ للقرآن؛ وما يزيد من شدة التناسب بينهما أنّهما سورتان مكّيتان نزلتا قبل هجرة النبي ﷺ وهذا ما يجعل السياق العام واحداً تكمل السورتان فيه بعضهما، ومرافقة القرآن المكيّ للمرحلة الأولى من حياة النبي ﷺ في تبليغ الرسالة وقد طبعتهما مواجهة الكافرين ومقاومة إعراضهم فكان "الوحي المكيّ قوارع زاجرة، وشُهباً مُنذرة وحُجّاً قاطعةً، يُحطّم وتنتيهم في العقيدة، ويدعوهم إلى توحيد الألوهية والرّبوبية"¹ كما تناول كبرى القضايا العقدية كإثبات النبوة، ووصف اليوم الآخر، والنار وأهلها

¹ - مناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، ص50.

والجنّة وأهلها، معتمدا ضرب الأمثال، وعرض قصص الأنبياء؛ وأما أساليبه وألفاظه فشديدة القرع، تقذف حروفها بالنكير، وتزجر مفرداتها بالتحذير، فالصّاحة والغاشية والواقعة أمثلة من مفرداتها، و "كلاً" أداة كثيرة الحضور زاجرة ومنبهة.

2-1-2-1- السّياق الخارجيّ لسورة الفرقان: سورة الفرقان مكية نزلت بعد سورة يس التي نزلت

بعد سورة الجنّ "وكان نزول سورة الجنّ عند رجوع النبي ﷺ من الطائف، وكان قد ذهب إليها سنة عشر من بعثته"¹ فنزلها كان في حدود السنة العاشرة من البعثة، سميت بذلك من قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان:1] وهي من السور التي نزلت بين الهجرة إلى الحبشة وحادثة الإسراء، وقد ميّز هذه الفترة عنف مشركي مكة وشدّتهم على النبي ﷺ ورغبتهم في القضاء على الدّعوة، فكان نزول سورة الفرقان إيناساً للرّسول ﷺ وتنشيتاً له في مواجهة الكفر والكافرين، وشدّ أزره ﷺ بفضح شبهات المشركين ودفاعها عن الدّعوة. فصوّرت لطف الله تعالى بنبيه ﷺ ووثّقت مشاهد المعركة العنيفة ضد المشركين، وجادلتهم ففضحت افتراءهم على القرآن ومطاعنهم عليه قال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان:4]. ونقلت وصفهم له ﷺ ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان:8]؛ واستهزاءهم به: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان:41]؛ وتعريضاً بفقره وحاجته ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان:8]؛ وطعنا في طريقة نزول القرآن ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان:32]. ثمّ عرضت أهوال يوم القيامة ومصير الكافرين، وانتهت بوصف عباد الرحمن ومنزلتهم؛ وما ورد في السّورة أحد أهمّ خصائص القرآن المكيّ.

¹ - جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السّور، تح: عبد العزيز بن عثمان التويجري، ط1، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، لبنان، 1999م، ج6، ص105.

أما غرضُ السُّورة فيبيانُ الغاية من نزول القرآن، وهو إنذار العالمين وتحذيرهم من الكفر وعاقبة الضَّلال، ودعوتهم بدل ذلك إلى التَّوحيد والإيمان. ويندرج تناول المقصد ضمن محورين أساسيين:

- الرَّدُّ على شبهات المشركين حول القرآن والرَّسول، والتَّحذير من العناد حول ذلك والاعتراض عليه، ثمَّ دحض الشُّبه وإبطالها بتصديق الرِّسالة، والاستدلال بالنُّذر الأولى.

- بيان سبب عدم تأثر المشركين بالأدلة الواضحة وهو الكبر والجهل، فقد رفضوا الإيمان عنادا واستعلاء فكشفت عن بُعدٍ نفسيٍّ، هو الاستكبار وبُعدٍ فكريٍّ وهو الجهل.

2-2-1-2- السِّياق الخارجي لسورة الملك: سورة الملك مكّية نزلت بعد الطُّور التي نزلت بعد

الإسراء التي وثَّقت الإسراء والمعراج قُبيل هجرة النَّبي ﷺ فكان نزولها في السَّنة الحادية عشرة من بعثة النَّبي ﷺ وقبل هجرته بثلاث سنوات وهو ما يعني أنَّ بَيْنَ نزول سورة الفرقان ونزول الملك من الزَّمن نحو سنةٍ واحدةٍ.

وسُمِّيت بالملِك من قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:1] وعرضت قدرة الله وحكمته وبركاته، فهو المتَّصفُ بأوصاف الجلال والكمال، ولفقت نظر الإنسان إلى مخلوقاته تعالى كخلق الأرض والسَّماء والطَّير، والرِّزق بأنواعه، وخلق الموت والحياة وكلَّ ما في الكون، وبعثت في القلب التَّدبُّر في ملكوت الله.

والغرض العام من السُّورة الدَّعوة إلى الإيمان بالله تعالى والرُّجوع إليه، وسلكت في ذلك منهاجا يجمع الاستدلال العقليَّ بتقديم الحجج على وحدانيته، وساقَت البراهين المُثبتة لقدرته، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: 1] وبَيَّن الاستدلالُ بأسلوب التَّرهيب وتبيين عاقبة الكفر والعناد والاستهزاء بالسَّاعة، قال عزَّ وجلَّ: ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمٌ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الملك:6] والتَّرهيب بتشويق المؤمنين لجزائهم الموعود ورحمة الله المنتظرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك:12].

والمقصد العام الظاهر في السورة إظهار عظمة الله وقدرته على التحكم في نواميس الكون كله وتبيين أقدار الناس في بعثهم بعد الموت، والاختبار الذي يعقبه معرفة مصائرهم الأخروية؛ وتحمل السورة وعيدا شديدا للكفار جزاء ما تقولوا من الباطل، وما ركبوا من الجدل مع النبي ﷺ.

وجاء في سبب نزول بعض آياتها كقوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: 13] أنها "نزلت في المشركين الذي كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فيه"¹ ويكيدون له فكان يقول بعضهم لبعض: "أسروا قولكم لئلا يسمعكم إله محمد. فكشف الله تعالى أمر مكيدتهم للنبي.

والحاصل أن سورتي الفرقان والملك مكيتان نزلتا قبل هجرة النبي ﷺ وبين نزولهما سنة، وقد اتفقت مقاصد السورتين وتشابهت وجهتهما في إنذار الكافرين، والترهيب والترغيب، وذكر قدرة الله وبيان عظمته وإثبات ملكه وأن الرزق بيده.

وأما غرض السورتين فقد اجتمعت عليه السورتان معا، فكمّلت الملك الفرقان، إذ شددت الفرقان على تكذيب الكافرين واستهزائهم؛ فبيّنت الملك مصائرهم بأدلة مثبتة. وأنست الفرقان النبي ﷺ وجاء مثل ذلك في الملك. وختمت الفرقان ببيان صفات عباد الله الصالحين، فبيّنت الملك ثوابهم في الآخرة، وبنّت فيهم الشوق للقائه تعالى.

لقد تطرّق البحث للسياق العام للسورتين باعتباره أمرا أساسيا وعنصر حاسما في فهم دلالات السورتين واستيعاب مقاصدها الكلية، إذ يسهم في توجيه المعنى، وربط الآليات بعضها ببعض في نسق كلي منسجم بعيدا عن الإدراك الجزئي، كما يبرز السياق العام وخدة الموضوع، ويكشف العلاقة الدقيقة بين المقاطع، فترهيب الكافرين يثبت أمان المؤمنين، وتبيين مصائر الفريقين.

¹ - أبي حسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، ط 2، دار الإصلاح، المملكة العربية السعودية، 1995م، ص 442.

ومن خلال ذلك يبرز التناصب الموضوعي بين السورتين، وهذا ما يبيّن انسجام البناء القرآني؛ كما أنّ استحضار السياق العام لهما يُمكن من الوقوف على العمق الدلالي فيهما، من دعوتهما إلى الإيمان والاستدلال لذلك بالحجج العقلية، وبأساليب الترهيب والترغيب.

2-1-3- السياق الداخلي للسورتين: بعدما كشف البحث عن الوظيفة التي أدتها الآليات اللغوية

من فروق صوتية وصيغ صرفية وتراكيب نحوية في بناء التماسك النصي، وإبراز التناصب اللغوي بين سورتَي الفرقان والملك؛ فإنّها قد أسهمت في الكشف عن تشكّل الوحدة الموضوعية بينهما، لأنّ إثبات التماسك النصي جزء أساس في تعيين المقصد الرئيس للسورتين، وبيان كيفية إسهام اللغة بأدواتها المختلفة في احتواء التناصب المضموني بين السورتين، بتتبّع مقصد كلّ سورة وموضوعاتها، ثمّ الكشف عن الوحدة الموضوعية في السورتين.

2-1-3-1- موضوع سورة الفرقان ومقصدُها العام: تضمّنت السورة خطأً أساسيًا عامًا يدور

حول العناية بالرسول ﷺ وتسكين قلبه بالطمأنينة، وبيان الغرض من تنزيل القرآن وبعثة النبي ﷺ من الدّعوة والنّذارة، كما أنّ في السّورة موضوعات أخرى أجملها العلماء في أربع:

- الموضوع الأول: تنزيه الله تعالى وتوحيده، وردّ شبهات الكفار عن نبيّه وكتابه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان:4] ضمن بُعدٍ حجاجي تفاعليّ، فلم يكن عرض مواقف الكفار وأعمالهم سرداً؛ بل لحقه إبطال افتراءهم في سياقٍ تواصليّ يستهدف إقناع المخاطب، وقد أعيدَ عرضُ خطاب الكفار في تركيبٍ إحاليّ حواريّ نحو: (قالوا، جاءوا ضربوا) موجّه نحو عنصر لغويّ واحد نحو: "الذين كفروا" فتوحّد مرجع الكافرين وربطت أقوالهم بأفعالهم يتخلّلها خرق وجهة الحوار ردّاً واستكاراً بنحو: "قل" للأمر إبرازاً للتنفيذ والمواجهة وإدارة الحوار داخل النصّ، تمهيداً لبيان مصيرهم الحتمي في سورة الملك؛ ويتجسّد الموضوع الأوّل من الآية الأولى إلى الآية العشرين.

- **الموضوع الثاني:** يرصدُ تطاولُ المشركين وإصرارهم على أعمالهم بطلبهم من الرسول ﷺ أن يسأل ربّه أن ينزل عليهم ملائكة أو يرونه حتّى يرجعوا عن كفرهم، "فعالجهم بمشهد اليوم الذي يرون فيه الملائكة لا تحمل البشري، وإنما تحمل الإنذار والوعيد"¹ وجاء الردّ عنيفا صوّر مشهدا سيرون فيه الملائكة حاملة وعيد كفرهم وعنادهم ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيَّتَنِ اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:27] ليتنازلوا إلى السؤال الماكر عن عدم تنزيل القرآن جملة واحدة، وجاء الردّ بغرض تثبيت قلب النبي ﷺ به. لترسم السورة جانبا من حالهم في الآخرة نتيجة أفعالهم، والقصد من هذا العرض تحذير الكافرين ممّا ينتظرهم من خلال خطاب إنذاري إلزامي يُعرف بالقياس الضمني بمآل السابقين لما صدر منهم، فالاشتراك في الفعل يحيل على مصير واحد أثبتته تكرار معجمي لمفردات: "كذب، أهلكنا، أعتدنا" وتراكيب فعلية منحت قوةً تقريريةً للخطاب بإثبات النتيجة: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان:37] وكذا علاقة السببية والتراكيب الشرطية، فكان للغة الدور الأساس في تقرير مضامين الآيات تمهيدا لإقرار النتيجة مجسدة في سورة الملك.

- **الموضوع الثالث:** إظهار قدرة الله تعالى في تسيير الكون وتدبيره، فمشاهد الظلّ وتعاقب الليل والنهار وتسخير الرياح وإحياء الموات بالماء آيات كونية تشغل على استثمار ضمنّي لمظاهر الخلق ودقة انتظام الكون، فتكون أدلة عقلية لمواجهة الكافرين، ودفعاً للتدبر في قدرته تعالى وألوهيته، وقد استعملت لذلك تراكيب خاصة وأفعال مصدرها الله تعالى وحده، وإحالة ضمنية على الضمير "هو" والتأكيد باسم الموصول "الذي" توجيهها للمتلقّي وترسيخا للمرجع الواحد تعالى. وقد أثبت هذا كله باستفهامٍ تقريريّ توجيهيّ موجّه للتأمل في إبداع الخالق تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ

¹ - جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، ج6، ص109.

جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿الفرقان: 45﴾ وفيه إلزامٌ للمخاطب بالإقرار والإيمان بوحداية الله تعالى، وقد أفصحت سورة الملك عن تكلمة بيان قدرته تعالى.

- **الموضوع الرابع:** وصفُ عباد الرحمن الذين استحقوا هذه الصفة بإيمانهم وامتثالهم، وبعد عرض السورة لأوصافهم ختمت بالجزاء المنتظر: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا 75 خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: 75-76] وفي ذلك استدراجٌ ترغيبيٌّ استهدف بناء البديل عن الكفر والكافرين، وبينَ مقام أصحاب كلِّ وصف، بتوظيف إقناعٍ تربويٍّ سعى إلى تهذيب السلوك، ووُظِّفَت اللُّغَةُ كالعادة في رسم تلك المشاهد بتراكيب فعلية مضارعة أبرزت دوام هذه الصفات الحميدة في المؤمنين واستمرارها ونتيجتها في جنات الخلد.

وحاصلُ هذا المبحث أنَّ كشف مضامين سورة الفرقان بياناً لبناءٍ دلاليٍّ قائم على ترابطٍ محوريٍّ وتكاملٍ موضوعيٍّ مُوحَّد، حيث تنتظم مضامينُ السورة الرَّدَّ على شبهات الكافرين، وبيان مصيرهم وإظهار قدرة الله وإبداعه في خلقه، ووصف عباد الرحمن. سيق ذلك كله ضمن بنية خطابية توجيهية بطابع حجاجيٍّ مقنع، وقد أسهمت الآليات النصية اللسانية بأنواعها -تراكيب، إحالات، صيغة لفظية، وغيرها في ضمان استمرارية دلالية للنص ووجهت تأويل المتلقي نحو بؤرة مركزية قوامها التفریق بين الحقِّ والباطل، وهو ما ضمن انساق النصِّ الشكلي وانسجامة المضموني، وعُدَّ التدرُّج الانتقالي في عرض المضامين حركة استنتاجية قائمة على تفاعل شبكة من العلاقات النصية، أسهمت في بناء وحدة موضوعية متماسكة مهَّدت لامتدادٍ دلاليٍّ يتَّضح في سورة الملك ضمن إطار وحدة المقصد القرآني العام.

2-1-3-2 موضوع سورة الملك ومقصدها: يدور المقصد العام للسورة حول إسناد أفعال الخلق

والتدبير والملك لله وحده ف "تدابير الكون والملك كله بيد الله وحده"¹ فهو تعالى وحده من يملك تسيير

¹ - عادل محمد خليل، أول مرة أتدبر القرآن، ط13، شركة إس بي، الكويت، 2017م، ص249.

نظام الكون وما يجري فيه من سنن وسلطانة ومشيئته نافذة في خلقه يفعل ما يشاء. وتنتظم سورة الملك مقصدين أساسيين:

- إثبات الملك لله وحده وبيان الحكمة من خلقه، وهذا ما يؤسس لمبدأ التوحيد، قال تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:1] وذكر الحكمة من خلق الحياة والموت كقاعدة للابتلاء ثم تصف خلق السماوات وزينتها، والأرض وما أودع فيها، وجهنم بعذابها، تجلية للحكمة في سياق حجاجي حسي إقناعي دافع للتأمل والتدبر، وقد حملت اللغة على عاتقها -كالعادة- هذا المضمون بتوظيف مصادر الأفعال وذكر الذات الإلهية بضمير الإحالة: "هو" والاسم الموصول "الذي" وهو ما حقق مركزية مرجعية ارتبطت بها كل الأفعال الكونية، بينت ذلك مفردات مثل: (خلق، قدرة، جعل أعتدنا...) وأدت التراكيب الإنشائية عامة والاستفهام منها خاصة دور لفت انتباه المخاطب، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُم مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: 20] وإقامة الأدلة وعرض نتيجة ما تقدّم في سورة الفرقان.

وبعد بسط الأدلة الكونية للكافرين في الفرقان؛ ذكرت الملك مصيرهم الرهيب، قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الملك:6] وتقابل بيان حجج الترهيب في الفرقان وصف حياة الكافرين الأخروية في الملك، وقد جمع الضمير "هم" و"الواو المتصل" صفاتهم تحت عنصر لغوي يحمل مصيرهم في السورتين.

التناصب المضموني بين سورتي الفرقان والملك: يعدّ التناصب المضموني بين سورتي الفرقان والملك الهدف الرئيس الذي توخى البحث بلوغه، كونه الحصيصة الأهم التي أفضى إليها تفاعل الآليات اللغوية والنصية وقد أبان ذلك عن بنية نصية داخلية ساقت اللغة فيها مقاصد السورتين، وأبرزت كيفية تشكّل الوحدة الموضوعية لهما عبر تفاعل المضامين وتكاملها، ويُعدّ الكشف عن هذه المضامين في كلّ سورة وسيلة لرصد كيفية توزّع الوظائف الدلالية بين السورتين، وتلمّس الاستمرار الدلالي بينهما.

شمل مطلع السورتين على اسم فاعل لا يُستعمل إلا لله تعالى، وهي قوله: "تبارك" أي تعظم كرمه وتزايد عطاؤه وتعالى خيره، واقتربت هذه المفردة في الآيتين بالاسم الموصول "الذي" فوجهت التأويل لمصدر واحد لا غيره وأثبتت الصفة له تعالى، وأحالت على وحدانيته في هذه الصفة "الذي أنزل الفرقان هو الذي بيده الملك"¹ وهو خالق الكون ومنزل القرآن ليحمل آياته.

لقد أسس هذا الافتتاح لتناسب مضموني قائم على التدرج الحجاجي، إذ قامت سورة الفرقان على إقامة الحجة مكتوبة في وحي منزل هو أي القرآن الكريم، وتأتي سورة الملك بحجج أوسع وأعم عن الكون بأسره، فيتحوّل الدليل من نصّ يُتلى إلى كون ملموس "ليخلص الإنسان إلى الاعتراف بوحانية الله وباهر قدرته، وهو يتأمل في كتاب الله المنظور (الكون الفسيح) بعد أن تأمل في كتاب الله المسطور (القرآن العظيم) وفي الكتاب المسطور إشارات عديدة لآيات الكتاب المنظور وهو يدعو إلى معرفة الحقائق باستخدام الحواس"² فقد أوضح القرآن الكريم هذا في قوله تعالى: ﴿وَكَايْنِ مِّنْ آيَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: 105].

2-1-4- توافق السورتين في المضمون والمقصد: ينتظم التناسب الموضوعي بين سورتي

الفرقان والملك ضمن نسق دلاليّ موحدٍ يعالج قضية محورية تتناول ظاهرة تكذيب الكفار بالرسالة السماوية وإنكارها، ومآلهم الذي ساقته لهم إليه القدرة الإلهية. غير أن لكل سورة وظيفة دلالية مخصصة داخل هذا النسق، ممّا يُنتج علاقة تكامل واستمرار لا تكرر؛ فبينما عرضت سورة الفرقان مواقف الكافرين وأعمالهم ورصدت تطاولهم واستكبارهم، وأندرتهم على ذلك بالردّ على شبهاتهم بأدلة عقلية وكونية، تبرز قدرة الله تعالى ووحدانيته في إبداع خلقه؛ وسأقت الحجج وصورت السعير وتفصيلها، فكانت سورة الفرقان

¹ - امحمد محمد صافي المستغامي، جواهر الدرر في علم مقارنة السور، ص207.

² - محمّد علي الصّابوني، صفوة التفاسير، ط1، دار الصابوني، مصر، 1997م، ص230.

مرحلة تأسيس الإشكال وبناء الجدل، لتتكلل سورة الملك على هذا البناء وتنتقل به إلى مرحلة تجسيد النتائج عبر توضيح مآل الكافرين، فصورت حياتهم الأخروية، ووضحت مشهد إقائهم في جهنم.

شهدت سورة الملك انتقالا لافتا من حوار الاعتراض والجدل في سورة الفرقان إلى حوار الاعتراف والندم، وتحول معه المعنى من دائرة الجدل النظري المتعنت إلى دائرة تحقق المشهد ومعاينة النتيجة. كما يلاحظ التوسع في بيان عظيم قدرة الله، فصورت دقائق مخلوقاته، وإبداعه في الكون وتدبيره سننه وهي مظاهر اقتلعت اعتراف الكافرين وهم يعرضون على نار جهنم.

ويكتمل التناصب المضموني بين السورتين عند موقف إثبات القدرة الإلهية، حيث يرد الموضوع نفسه في السورتين، ولكن بوظيفتين مختلفتين ضمن نسق دلالي تكاملي، تعرض فيه سورة الفرقان القدرة الإلهية والإبداع الكوني في شكل حجج ودلائل كونية رداً على شبهات المكذبين، وأما سورة الملك فذكرت الدلائل ذاتها وبيّنت عظمة الخالق؛ ولكن بغرض بناء استدلال وظفت فيه هذه القوى الكونية والإبداعية لإقناع المتلقي دون استحضار نماذج الجدل، فاكتملت بذلك وظيفة تقريرية حاجبية قائمة على الإلزام والإقناع؛ ليتضح التكامل الدلالي في باب إثبات القدرة الإلهية في السورتين، وينتقل الخطاب في الفرقان من الدفاع وإقامة الحجج، إلى إثبات قدرة الله والإقرار بعظمته وإبداع خلقه في الملك.

ويختم التناصب في البناء القيمي بناء التناصب بين السورتين، فقد جسدت السورتان تناسب منظومة أخلاقية في سورتين، فقد خُتمت سورة الفرقان بعرض نموذج عباد الرحمن ومقوماتهم بما هم عليه من صفات أخلاقية وميزات سلوكية تجسد إيمانهم وبيّن مقامهم، فصورت عباداتهم وسجودهم وخشيتهم وتوبتهم، وختمت ببيان مصيرهم في جنات الخلد؛ كما جسدت سورة الملك قيمة الخشية من الله تعالى بالغيب بوصفه أساساً باطنياً يقوم عليه الإيمان الذي جسده عباد الرحمن أعمالاً وأخلاقاً، فيبرز هذا التناوب بُعداً قيمياً متكاملًا بين السورتين، حيث ينتقل من وصف السلوك الظاهر لعباد الرحمن في سورة

الفرقان إلى وصف الوازع الداخلي الذي خلف ذلك، فكان التجسيد العملي والقيمي في الفرقان والتأصيل العقدي والوجداني في الملك.

وختاماً؛ يكشف التناصب المضموني بين سورتي الفرقان والملك عن بناء دلالي متكامل واستمرار موضوعي يقوم على توزيع الوظائف الدلالية ضمن نسق موحد، إذ لم ترد المواضيع متكررة بل اندمجت فيما بينها وتكاملت فتكفلت سورة الفرقان بدور التأسيس للقضايا في صبغة حجاجية حوارية، وأكملت سورة الملك هذا الخطاب عارضا خاتمته ونتائجه. وقد أسهمت الآليات النصية في الكشف عن دور اللغة في بناء الاستمرار المرجعي بين السورتين مما أنتج انسجاماً دلالياً، ومقصداً كلياً موحداً تآزرت فيه البنية اللغوية مع المقصد التداولي ليتشكل خطاب متماسك، ميّزه انتقال سلس من بناء القضية إلى حسم النتيجة، وظهر أنّ التناصب المضموني لا يكفي فيه الاشتراك في الموضوع بقدر ما يتحقق من وحدة المقصد وما يحصل من تكامل دلالي بين السورتين.

2-1-5- التناصب بين تنزيل (الكتاب) في سورة الفرقان وخلق (الأكون) في سورة الملك: بين

لغة الفرقان في تنزيل الكتاب ولغة الملك في خلق الأكون لغة أخرى خاصة، وتناسب موضوعي لغوي من نوع آخر، وتكامل دلالي تجاوز اللغة، فالقرآن الكريم (الفرقان) هو كتاب الله المسطور الذي أنزله الله ليكون هادياً ونذيراً للعالمين، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1] والكون هو كتاب الله المنظور الذي خلقه وأبدع تصويره وملاك تدبيره وتسييره بقدرته، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: 1] والرابط المشترك بينهما بالدرجة الأولى هو المصدر، فالله تعالى خالق الكون ومنزل الفرقان، فجعل للكون مظاهر تفهم كثير من آياتها بالقرآن فكان نزوله دليلاً يقود الإدراك، وهاهنا يرشد الفكر، يدعو إلى التمعن في مخلوقات الله الكونية والتدبر في بديع صنعها، فصار نزول القرآن شارحاً مبيناً لأسرار الكون الخفية.

وقد أبان القرآن كثيرا من غوامض الكون ومجاهله، وفكّت الآيات القرآنية كثيرا من إشكالات الآيات الكونية، فالآية القرآنية نواة تشكّل المفهوم العام للسورة بصيغة مجردة، وهي قطعة من القرآن الكريم ومعجزة فيه، وحجّة على الكافر، ومصدر للهداية، والآية الكونية معجزة محسوسة تُدرك بالحواس، تُتأمل ويُتدبّر فيها، ففي الفرقان قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: 45] وفي الملك قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتْ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ﴾ [الملك: 19] "ليخلص الإنسان إلى الاعتراف بوحداية الله وباهر قدرته وهو يتأمل في كتاب الله المنظور (الكون الفسيح) بعد أن تأمل في كتاب الله المسطور (القرآن العظيم) وفي الكتاب المسطور إشارات عديدة لآيات الكتاب المنظور وهو يدعو إلى معرفة الحقائق باستخدام الحواس"¹ فيكيف للإنسان إدراك الحقائق الكونية وقوانينها لولا ما أنزله الله في القرآن بيانا وإرشادا؟

يتحدّث القرآن الكريم في كثير من آيات القرآن الكريم عن آياته في الأكوان، فنظام الفلك في الفضاء ونظام الفلك في البحار محكوم بنواميس اختيرت لها المفردات الدالة، والعبارات الدقيقة، وآيات الله في الأنفس والآفاق ممّا تواتر به إعجاز بيان القرآن، وكما انتظم حبك القرآن في آياته نظما وبيانا؛ فقد ظهر إحكام الأكوان بنظام دقيق يُظهر قوّة الخالق وعظمته، فالآية من القرآن بيان وبرهان وإفصاح عن سرّ الكون وبرهان على وجود الخالق، وفي خلق الكون علامة للتأمل والتدبّر وبرهان على وحدانية الله تعالى وقدرته وعظمته خلقه، ففي قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾ [الملك: 3] بناء لغوي صغير أحال على آية كونية كبرى لا يمكن تصوّرها ولا فهم أسرارها إلا بالوحدة الصغرى، فالشُّموس والكواكب والأقمار وما تنتجها حركاتها من تعاقب الليالي والأيام، ظواهر كونية كبرى فيها إعجازٌ خلقيٌّ كونيٌّ جلت عظمة الخالق وكشفت عن شيء يسير من أسرار الكون

¹ - محمد علي الصّابوني، صفوة التّفسير، ص230.

الفسيح. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: 62] إنَّه سرٌّ آخر من أسرار آيات الله الكونية تحيل عليها آية من آيات الله المتلوة، ما حقيقة الليل والنَّهار؟ وما الغرض منهما؟ وضحت الآية جانباً من حركتهما في الكون، ودلَّت الإنسان عليهما للتفكر في عظمة الله ورحمته بخلقه.

تحضر اللغة مرّة أخرى فتتكفل بحمل معجزتين في آن واحد: إعجاز قرآني رباني حملته الآيات القرآنية بما دلّت عليه من معاني، وتعبيرات دقيقة عن الآيات الكونية مبينة أسرارها وموجهة معانيها. فاللغة طوت المعجزتين معا واحتوت الآيتين القرآنية والكونية معا.

مضت الآيات التي تناولت مظاهر الكون في سورتي الفرقان والملك على أداء وظيفة حاجية توضيحية فأيات الكتاب المسطور في سورة الفرقان صيغت بلغة فرقت بين الحق والباطل، وأثبتت صدق الرسالة وردّت على المكذّبين، مستحضرة آيات كونية في غاية الإبداع والإنتقان: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2] وكملت آيات سورة الملك إظهار بديع الآيات الكونية كما في قوله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ [الملك: 3] في بناء استدلالٍ يقوم على دعوة الكافر للتدبر في خلق الله، وفي ذلك دليل على الله.

وقد احتوت البنية اللغوية للآية القرآنية مظاهر الكون كلّها، فلم تكتف بالإشارة السطحية العابرة؛ بل أعادت بناء خطاب ذي أبعاد وظيفية، وكشفت عن كثير من أسرارها، فأصبحت بذلك دليلاً من الكتاب المسطور على ما في الكون المنظور.

ولا يجب أن يُختزل النّظر إلى القرآن العظيم على أنّه كتاب لغة أو بلاغة، أو كتاب علوم كونية فهو كتاب هداية للخلق، له نظامه الشّامل ونظمه المبين، لم يقتصر على وصف الكون؛ بل حمل بناء رؤية كونية متكاملة تدعو إلى الإيمان، فهو دليل حيّ يفسّر الوجود ويبرز أسرارها ويوجّه إدراكه، وكما

أنّ الكون كتابٌ شاملٌ قائم على نظامٍ متكاملٍ متقن؛ فالقرآن فيه من ظواهر الإتيان والنظام ما أظهرته آياته بما حملت من بيان، فالكون بنظامه وكماله يظلُّ في حاجة إلى مرشد هادٍ، وليس ذلك إلا القرآن. وتتصبُّ اللغة حاملة على عاتقها هذا النظام في القرآن بالدلالة والبيان، وفي الأكوام بالتعبير عن أسرارها بدقيق اللفظ وسلطان اللسان، ولغة القرآن موضعُ الحظوة في النظامين، فقد ربطت الآيات المسطورة بالآيات المنظورة في علاقة تكاملية معرفية، فالكون مادّة المعرفة الأولى، والقرآن مؤطّرها الأساس، وما كان من سورتي الفرقان والملك ضمن هذه الرؤية إلا تكامل دلاليّ بديع كشف عن فكرة جوهرية مفادها: أنّ في القرآن العظيم مفاتيح قراءة كتاب الكون العظيم.

خاتمة

خاتمة: كان ممّا توصّلت الدّراسة إليه في مقارنة العلاقة اللّغوية والمضمونية بين سورتي الفرقان والملك، وبتوظيف مفاهيم علوم قرآنية ولغوية تراثية، ومقولات لسانيات النصّ ومقارباتها الإجرائية في استجلاء طبيعة هذا التناسب، وتحليل كيفية اشتغالهما باللغة واحتوائهما على آلياتها، وبعد مقابلة سورتي الفرقان والملك؛ اتّضح أنّ بين السورتين توافقاً ضمنياً ومضمونياً واضحاً، وما يشدّ الانتباه أكثر أنّ السورتين متباعدتان سواء من حيث ترتيبهما في المصحف أو من حيث ترتيب نزولهما؛ غير أنّهما سورتان مترابطتان عضوياً، ومتوافقتان معنوياً، ومتكاملتان دلالياً، ومتآلفتان نصياً. وهذا ما أسهمت الرّوابط اللّغوية والآليات اللّسانية المتمثّلة في مستويات التّحليل اللّغويّ وآليّتي الاتّساق والانسجام في الكشف عنه.

وقد أظهرت الدّراسة من خلال ترصّد المستويات اللّغويّة أنّ البنية الصّوتية بنغماتها وإيقاعها وتكرار أصواتها والبنية الصّرفيّة بأوزانها وصيغها ومرونة اشتقاقاتها، إضافة إلى البنية التركيبية بتآلف أساليبها وتوازي عباراتها، قد أسهمت جميعها في ترسيخ العلاقات الدّلالية وتبيان التّكامل الخطابي وإظهار وحدة المقصد بين السورتين.

كما تبين أنّ التّناسب بين سورتي الفرقان والملك قائمٌ على شبكة من المستويات اللّغوية المتداخلة حيث كشفت الدّراسة عن:

بدا دور المستوى الصّوتي الذي تناولته عاملاً أساسياً للكشف عن الإيقاع الدّاخليّ للسورتين حيث ظهر أثر الفاصلة القرآنية في إبراز التّناعم بين السورتين، وبعد التّحليل والمقابلة اتّضح توافقهما في الفاصلة بأنواعها، وكان تكرارها في السورتين دليلاً بارزاً على تقارب صوتيّ، وتأزر إيقاعي عزز وحدة الجوّ الدّلالي والمقصديّ في السورتين.

أظهرت دراسة المستوى الصّرفي وظائف أساسية في بيان التّناسب الموضوعي بين السورتين، إذ نتج عن تتبّع صيغ المفردات ودلالاتها أثراً واضحاً تجلّى في وضوح المقاصد فيهما، وأبرز رصد الجذور

اللغوية المكررة وجود صيغ مشتركة ومشتقات ذات حقول دلالية متقاربة ومتكاملة بين السورتين خدمت المقاصد الكبرى، خاصة ما ارتبط بالرد على شبهات المشركين والإنذار وبيان قدرة الله تعالى؛ حيث احتوت الكلمات مضامين السورتين، وبيّنت تكامل مقاصدهما، وأفصحت عن تناسبهما لغويا ومضمونيا. أسهمت التراكيب -هي الأخرى- في إبراز التوازي الأسلوبي بين السورتين، وذلك من خلال تشابه الأبنية التركيبية والتوافق الأسلوبي -خبري وإنشائي- الذي عمل على إبراز التكامل الدلالي، فقد توافقت السورتان في عدة أنماط تركيبية، أبانت عن البعد التداولي والحمولة الحجاجية التي تمثلت في وظيفة التقرير والإنكار التي امتازت بها تراكيب سورة الفرقان، لتكمل سورة الملك النتائج وتتم مشاهد التقرير بالتوبيخ وإظهار المصير.

وعلى الرغم من عزل كل مستوى لغوي ودراسته بصورة مستقلة؛ فإن هذه المستويات لم تعمل بمعزل عن بعض، بل تفاعلت وتكاملت فيما بينها للكشف عن التناسب الموضوعي بين السورتين، فبدت نسيجا لغويا متماسكا، كشف عن نظام داخلي دقيق يحكم هذه المستويات، ويوجهها نحو إبراز مقاصد السورتين في صورة متكاملة يتجلى من خلالها التناسب المضموني.

بيّنت الدراسة حاجة المستويات اللغوية إلى آليتين نصيتين تحكم ترابط النص وتوحد مقاصده وتسلسل مطالبه، وهما آليتا الاتساق والانسجام، ولها -هي الأخرى- دور مركزي، وأثر بارز في بناء التناسب الموضوعي بين السورتين، وذلك من خلال الروابط المعجمية والإحالة والتكرار والسياق، وهو الأمر الذي بين التكامل الدلالي والتداولي بين السورتين، وأكد أن النص القرآني قائم على شبكة مترابطة ومتلاحمة من العلاقات اللسانية التي تكشف وحدة الموضوع وتماسك البناء.

تعد الإحالة من أهم الآليات الاتساقية التي اضطلعت بدور بارز في إحكام الربط بين السورتين، إذ كشفت عن عناصر لغوية مهمة تعود في مرجعيتها إلى المحيل عليه ذاته في كليتهما، فأسهمت بذلك في بناء بُعد تداولي حجاجي عزز وحدة الدلالة في النص القرآني. ومن خلال تثبيت النواة المرجعية

للمقصد، تجلّى ذلك التّوازي الإجماليّ الدّقيق الذي أفضى إلى امتدادٍ دلاليّ متناسقٍ بين السُّورتَيْن، ممّا أبرز تلاحم المعنى وانتظامه داخل البنية القرآنيّة.

ونال التّكرار الصّوتيّ واللفّظي نصيباً من بناء التّناسب الموضوعي بين السُّورتَيْن، إذ شهد الإيقاع الصّوتي تناغماً وتلاحماً كبيراً بينهما، فكانت الحروف الأخيرة في سورة الفرقان متقاربةً جدّاً مع الحروف الأخيرة من آيات سورة الملك، وكلّها تدور في حيز الحروف اللّثوية، فشكّلت شبكة من العلاقات الصّوتية العامّة التي أبانت عن المقاصد الكبرى للسُّورتَيْن. كما كشف هذا العنصر عن انسجام كلّ من خلال تناسب البنى الصوتية والتناغم الإيقاعي ممّا أبرز وحدة الموضوع.

وقد أضاف التّكرار اللفّظي الذي حقّق الاتّساق المعجميّ إسهاماً نوعياً في ترسيخ المعاني المركزية داخل السُّورتَيْن، فكان لتتبّع هذا التّكرار دورٌ أساسيّ في الكشف عن التّناسب الموضوعي، بما حملته المفردات من دلالات على المقاصد، فكشفت من خلالها عن التّكامل الدّلالي والمفرداتي بين السُّورتَيْن. تضافرت كلّ هذه الآليات لخدمة الآلية الأخيرة وهي الانسجامُ بأداته وهو السّياق حيث تبيّن أنّ الانسجام الدّلالي في السُّورتَيْن قائمٌ على تكامل المقاصد، وهذا ما سعت النّتائج الأولى للكشف عنه حيث وضّحت اللّغة احتواءها للمضمون، وجاءت سورة الفرقان في بدايتها بذكر كتاب الله المسطور لتبيّن سورة الملك أنّ كتاب الله المنظور آية تستند في تبيانها على كتاب الله المسطور، وعرضت سورة الفرقان مشاهد المشركين الدّنيوية لتكمل سورة الملك مشاهدهم الآخروية، وبينت سورة الفرقان أعمال عباد الرّحمان لتجسّد سورة الملك إخلاص نيّتهم وخشية الله بالغيب، واجتمع هذا كلّ لبناء رؤية قرآنية موحّدة بين السُّورتَيْن.

وممّا بلغته الدّراسة أنّ لسانيات النّص تُعدّ مقارنة فعّالة في الكشف عن أوجه التّناسب في القرآن الكريم، حيث أنّها قادرة على حمل اللّغة التي تبني المضمون من خلال الأدوات والآليات التي تعمل على تحليل العلاقات النّصية والدّلالية.

وقد خلّص البحثُ إلى أنّ التّناسب الموضوعي بين سورتي الفرقان والملك يتجلّى في تفاعل البنى اللّغويّة مع المقصد الدّلالي، حيث عُدّت الآليات اللّسانية أداة فعّالة للكشف عن عمق التّرابط النّصّي والتّماسك الدّلاليّ بين السّورتين، وهو الأمر الذي بيّن صورة من صُور الإعجاز البياني.

والخلاصة أنّ تحليل تظافر العلاقة بين المستويات اللّغويّة وما أتاحته الآليات اللّسانية من تفاعل فيما بينها؛ كشف عن بناء دلالي وتكامل معنوي وامتداد مضموني بين سورتي الفرقان والملك، إذ حملت اللّغة على عاتقها مضمون السّورتين، وجاءت هذه الآليات كاشفة عن تناسُب لغويّ أوضح تناسبا موضوعيا؛ واتّضح أنّ بين سورتي الفرقان والملك تناسبا لغويّا يتمثّل في توافق البنى اللّغويّة، وتناسب مضمونيّ عكسه بوضوح الامتداد الدّلاليّ، لذا كانت سورة الملك مكملّة لسورة الفرقان، ومُتمّمة لمقاصدها ومضامينها.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

• المصادر باللغة العربية:

1. أبو أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1973م، ج5.
2. أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: حكمت بن بشير بن ياسين، ط1، دار ابن حزم، لبنان، 2000م، ج5.
3. أبو القاسم محمود بن عمر الرّمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: علي أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، مكتبة العبيكان، السعودية، 1998م.
4. أبو بكر بن العربي المالكي، سراج المريدين في سبيل الدين، ضبط: عبد الله التّوراتي، ط1، دار التّحديث الكتابية لبنان، 2017م، ج4.
5. أبي حسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، ط2، دار الإصلاح، المملكة العربية السعودية، 1995م.
6. امحمد محمد صافي المستغانمي، جواهر الدرر في علم مقارنة السور، دط، دار ابن كثير، لبنان، 2018م.
7. بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الرّكشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، لبنان، 1957م.
8. ج. ب. براون و ج. يول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، دط، النشر العلمي المطابع-جامعة الملك سعود، السعودية، 1997م.
9. جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، تح: عبد العزيز بن عثمان التويجري، ط1، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، لبنان، 1999م، ج6.
10. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1974م، ج3.
11. جمال الدين بن منظور الأنصاري، لسان العرب، ط3، دار الصادر، لبنان، 1955م، ج1.
12. حسام أحمد فرج، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، ط1، مكتبة الآداب، مصر، 2007م.

13. رمضان عبد التّوّاب، مدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، ط3، مكتبة الخانجي، مصر، 1997م.
14. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النّصّي بين النّظري والتّطبيقي، ط1، دار قباء، مصر، 2000م، ج1.
15. عادل محمد خليل، أوّل مرّة أتدبّر القرآن، ط13، شركة إس بي، الكويت، 2017م.
16. عزة شبل محمد، علم لغة النّص النّظريّة والتّطبيق، ط2، مكتبة الآداب، مصر، 2009م.
17. عمرو بن عثمان سيّويه، الكتاب، تح: عبد السّلام محمّد هارون، ط3، مكتبة الخانجي، مصر، 1988م، ج4.
18. فخر الدّين الرّازي، مفاتيح الغيب (التّفسير الكبير)، ط3، دار إحياء التّراث العربي، لبنان، 1999م، ج1.
19. فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ط2، جامعة القدس المفتوحة، الأردن، 1997م.
20. ليندة قياس، لسانيات النّص النّظريّة والتّطبيق مقامات الهمداني نموذج، ط1، مكتبة الآداب، مصر، 2009م.
21. محمد الطّاهر بن عاشور، التحرير والتّنوير د ط، الدار التونسية، تونس، 1984م، ج19.
22. محمّد بن عبد الرّحمن جلال الدّين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمّد عبد المنعم خفاجي، ط3، دار الجيل، لبنان، 1993م، ج1.
23. محمّد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، دار الكتب العلميّة، لبنان، 1993م، ج6.
24. محمّد خطّاب، لسانيات النّص؛ مدخل إلى انسجام الخطّاب، ط1، المركز الثّقافي العربي، لبنان، 1991م.
25. محمّد عزة دروزة، التّفسير الحديث، ط2، دار الغرب الإسلامي، مصر، 2000م، ج5.
26. محمّد علي الصّابوني، صفوة التّقاير، ط1، دار الصّابوني، مصر، 1997م.
27. محمّد هلال، تفسير القرآن الثّري الجامع (في الإعجاز البيانيّ واللّغويّ والعلميّ) ط1، دار المعراج، دمشق، سوريا 2022م، ج11.
28. مصطفى بن محمد سليم العلاييني، جامع الدروس العربيّة، ط28، المكتبة العصريّة، لبنان، 1993م.

29. منّا بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، ط3، مكتبة المعارف، السعودية، 2000م.
30. نخبة من لغويّ مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، ط2، دار الفكر، بيروت، ج.2
- المواقع الإلكترونيّة:

1. www.dohadictionary.org/root

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

الصفحة	العنوان
-	إهداء
-	شكر وعرفان
4	مقدمة
مدخل مصطلحات البحث ومفاهيم التأسيس	
14	1- التناوب في الدرس القرآني
14	1-1- مفهوم التناوب في اللغة والاصطلاح
17	1-2- تعريف علم المناسبة
18	1-3- التناوب في القرآن
18	1-3-1- أشكال التناوب
18	1-3-2- التناوب بين الآيات
19	1-3-2-1- التناوب بين فاتحة السورة وخاتمتها
20	1-3-2-2- تناسب افتتاح السورة مع مقصدها
21	1-3-2-3- التناوب بين السور المتتابعة
الفصل الأول: الآليات الموضوعية ودورها في بناء التناوب اللغوي بين سورتي الفرقان والملك	
24	1- الآليات اللغوية وبناء النص
24	2- مستويات التناوب اللغوي وأشكاله
25	2-1- المستوى الصوتي
26	2-1-1- الإيقاع العام لسورتتي الفرقان والملك
26	الفاصلة القرآنية في السورتين؛ الحضور والأثر
26	الفاصلة المتماثلة في سورة الفرقان
28	الفاصلة المتماثلة في سورة الملك
28	الفاصلة المتقاربة في سورتي الفرقان والملك

29	الفاصلةُ المتوازية
29	الفاصلة المتوازنة
32	2-2- المستوى الصَّرْفِي
33	2-2-1- مفردة "تبارك" وموقعها
33	2-2-2- صفة النِّذارة
34	2-2-3- لفظتا العُتو والنُّفور
35	2-2-4- لفظتا الرِّفير والشَّهيق
35	2-2-5- حضور الجذر (ك ف ر) بين الصِّيغ والدَّلالة
37	2-2-6- الجذر (ق و ل) ومتابعة نمط الحوار
40	2-2-7- الجذر (ك ذ ب) انعكاس سلوك منكري النُّبوة عبر التَّاريخ
42	2-2-8- الجذر (س م ع) والجذر (ع ق ل) وعاقبة تعطيل وظائف الحواس
45	2-3- المستوى التَّركيبي
46	2-3-1- التَّراكيب الفعلية بصيغة الماضي
48	2-3-2- التَّراكيب الشرطية
49	2-3-3- صيغة الاستفهام
الفصل الثاني: دورُ الآليات الموضوعية في بناء التَّناسب المضمويِّ بين سورتيَّ الفرقان والملك	
56	1- الاتِّساق (Cohesion)
56	1-1- الإحالة وإثبات طبيعة العلاقة بين السُّورتَيْن
57	1-1-1- الإحالة النَّصِيَّة وأدواتها في إثبات العلاقات بين السُّورتَيْن
57	1-1-1-1- الإحالة بالضمير
60	1-1-1-2- الإحالة بأسماء الإشارة
62	1-1-1-2- الإحالة بالأسماء الموصولة
65	1-2- الاتِّساق المعجمي
65	1-2-1- التَّكرار

66	1-1-2-1 التكرار الصوتي وأثره في حدوث المعنى
69	1-1-2-2 التكرار اللفظي ودوره في بيان المعنى
72	2- الانسجام (Oherence)
73	1-2- أدوات الانسجام
73	1-1-2- السياق (Context)
74	2-1-2- السياق الخارجي للسورتين
75	1-2-1-2- السياق الخارجي لسورة الفرقان
76	2-2-1-2- السياق الخارجي لسورة الملك
78	3-1-2- السياق الداخلي للسورتين
78	1-3-1-2- موضوع سورة الفرقان ومقصدها العام
80	2-3-1-2- موضوع سورة الملك ومقصدها
82	4-1-2- توافق السورتين في المضمون والمقصد
84	5-1-2- التناوب بين تنزيل (الكتاب) في سورة الفرقان وخلق (الأكوان) في سورة الملك
89	خاتمة
94	قائمة المصادر والمراجع
98	فهرس المحتويات